قضايا المرأة

في الشعر السعودي الحديث والمعاصر

دكتورة

فاطمة البيومي محمود سلامة

المدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

جامعة الأزهر

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده,خير من نطق بالضاد, وخير من أوصى بالمرأة خيرا , ووصفها بكونها شقيقة الرجل, وحدب عليها ,وأكرمها أيما إكرام , محمد صلى الله عليه وسلم

وبعد:

لطالما كانت المرأة – ولا زالت– محط نظر الرجل، سواء نظر إليها نظرة إعظام وإكبار أو إهدار وإهمال.

ولطالما شارك الأدب في تصوير موقف كلا الجنسين من الآخر، وعبر عن كثيرٍ من العواطف والأحاسيس، التي تعتورانهما على مدى تعاقب الملوين.

والمرأة باعتبارها الجنس الضعيف الذي لا يقوى على خوض كثير من المجالات مصداقا لقوله تعالى ﴿ **أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ **الزخرف آية ١٨**.. ظلت إلى وقت ليس بالبعيد قابعة في خدرها,راضية بدورها المنوط بها, باعتبارها أمًا وراعية منزل, حتى لنجد من الأدباء السعوديين من يشيد بمن يتخطى الأعراف القبلية والعادات النجدية للنظرة إلى المرأة السعودية، فهذا عبد الله الحامد يقول في كتابه (الشعر في الجزيرة العربية نجد والحجاز والإحساء) عند حديثه عن شعر ابن" بليهد " :– "ومن شعره قصيدة طريفة يرثى بها زوجته وقيمة القصيدة تأتي من تخطي الشاعر للأعراف القبلية والعادات النجدية التي تمهد للحديث عن المرأة بـ كرَّمك الله، وأعجب من ذلك أن سمَاها ونسبها وأرَخ لوفاتها وبيَن سبب وفاتها وهذا شيء غريب جدا ورائع أن نسمعه في هذه البيئة التي قال فيها أحد معاصريه لمن يواسونه في وفاة زوجته.

وما آسى على شيء تولى وهل آسى على خلعي نعالي؟

قد تصبح المرأة في هذا الشعر نعالاً ولكنها عند ابن بليهد شيء عظيم قرينة حياة ورفيقة درب"[١].

ظلت المرأة –كما قلنا– راضية بوضعها هذا إلى أن حدث الانفتاح الواسع

(١) الشعر في الجزيرة العربية نجد والحجاز والأحساء خلال ١١٥٠هـ – ١٣٥٠هـ د/ عبد الله الحامد، دار الكتاب السعودي نقلا عن شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر، عبد الفتاح محمد الحلو– ط الفجالة مصر ١٩٥٩م صـ٢٢٩.

على العالم الأوروبي في حياتنا المعاصرة , ووقف العديد من أفراد المجتمع الشرقي على دور المرأة الغربية، ومشاركتها الرجل في كثيرٍ من المجالات التنموية، فنادى البعض , من أدباء المجتمعات الشرقية بتحريرها من أسر المنزل، وتطلعت هي إلى حياة – في ظنها– أفضل.

وانبثق عن الدعوة لتحرير المرأة عدة قضايا حيوية منها المطالبة بتعليمها، وتوظيفها في الوظائف المناسبة لها، وحقها في اختيار شريك حياتها، وحقها في إبداء الرأي في كثيرٍ من الأمور الحياتية, ومن الجدير بالذكر هنا أن ما يتعلق بقضايا المرأة والمطالبة بحقوقها يختلف من قطر إلى قطر، ومن زمنٍ إلى زمن، ويخضع ذلك لكثيرٍ من قيم المجتمع ومعتقداته الدينية، فمثلا قضية مثل قضية قيادة المرأة للسيارة في قطر مثل القطر المصري لم تحتج لتفعيلها إلى كثير عناء، إذ أن المرأة في مصر كانت قد قطعت شوطاً كبيراً في التحرر، وحظيت بقدرٍ كبير من الحرية قبل مسألة القيادة، أضف إلى ذلك أن بلدًا كمصر لا تشترط وجود المحرم للمرأة في الذهاب والإياب والسفر، وغير ذلك، وبالتالي لم تقابل هذه القضية بكثير من التعجب و الاستغراب والانتقاد.

أما في قطر كالسعودية نجد أن هذه الدعوة قد قوبلت بالرفض والإنكار حينا، والسخرية والاستهزاء في كثيرٍ من الأحيان، ومرد ذلك تحفظ المجتمع ونظرته إلى المرأة على أنها عورة يجب أن تحجب وتواري عن أعين الغير، يؤتى إليها بمستلزماتها ومتطلباتها، وتقوم هي بالمهنة والعمل في المنزل وإدارة شؤونه الداخلية.

وسنتعرض في هذا البحث –إن شاء الله– لدراسة قضايا المرأة في المملكة العربية السعودية في الشعر الحديث والمعاصر.

وقد آثرتُ البحث في هذا الموضوع لأسباب عدة منها.

أولا :– تشعب دروبه نظراً للتطور الحديث الذي أصاب جميع جوانب الحياة ومناحيها، والذي أثَر بدوره في الحياة الاجتماعية والاقتصادية كافة وأدى إلى ظهور عدة قضايا اجتماعية مهمة، كتعدد الزوجات وما ينجم عنه في كثير من الأحيان من الميل لجانب إحدى الزوجتين على حساب الأخرى، وتأخر سن الزواج بالنسبة للشاب والفتاة على السواء، وسوء معاملة الزوجة، وإهدار حقها في المُتعة والنفقة من قبل كثير من الأزواج .

ثانيا :– وفرة النتاج الشعري الذي تعرض لقضاياها سواء بالتأييد أو الرفض أو المعالجة وإبداء الرأي، وإسهام العديد من الشعراء في هذه القضايا.

ثالثا :– الرغبة في الوقوف على الاتجاهات الأدبية في قطرٍ كان في القديم له السَّهم المُعَلَّى من النتاج الأدبي، كما أصبح في الحديث موطناً للعديد من أعلام الشعر والأدب بعامة، واستطاع أدباؤه أن يصوروا حياة جزيرتهم، بل وتخطوها إلى

تصوير حياة كثير من الشعوب الإسلامية والعربية، وعبروا عن همومها ومشاكلها بكل شفافية، وبصورٍ تعبيرية أخاذة، وهذا بلا شك دليل الوحدة العربية، التي تغني بها الكثير من الشعراء في الماضي والحاضر

رابعا :- عدم وجود بحث –على حد علمي –حتى الآن لبحث قضاياها. فقد تعرض عدد من الكتاب لبعض قضاياها منهم د. بكري شيخ أمين في كتابه–(الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية)، و د. حسن الهويمل في كتابه (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي الحديث)، و د. عبد الله الحامد في كتابه:–(الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن ١٣٤٥: ١٣٩٥هـ، بيد أن تعرض هؤلاء الأدباء , يعد تعرضاً هامشيا مقتضباً لا يعتمد على التتبع والاستقصاء إذ لم يتجاوز كل مبحث عند هؤلاء الأدباء السبع صفحات من القطع المتوسط.

كما تعرض د. مسعد العطويَ في كتابه (الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية). لبعض قضاياها كقضية التعليم والزوجتان، بيد أنه يعتمد في تعرضه على السرد والجمع دون تحليل أو تعليل أو استنباط وكأني به جامع لديوان شعر المجتمع في المملكة العربية السعودية.

وما من شك في أن هذه الدراسات قد أفادتني وأنارت لي الدروب وفتحت أمامي المجاهيل على كثير من الدواوين التي شارك أصحابها في معالجة الكثير من قضاياها.

والبحث يحتوي على فصلين:

الأول : **الدراسة الموضوعية**

الثاني:- **الدراسة الفنية**

وسنبدأ إن شاء الله **بالدراسة الموضوعية** فنقول وبالله التوفيق

أولا :- الحجاب والسفور

قبل ولوج معترك حجاب المرأة السعودية وسفورها تجدر الإشارة إلى نقطة هامة ذكرها د/ بكري شيخ أمين في كتابه/ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية طبعتي بيروت الأولى ١٩٧٢م ١٣٩٢هـ والثانية ١٩٧٨م. ١٣٩٨هـ حين تعرض لقضية المرأة السعودية وبالأخص حين تعرض لحجابها ومما جاء في هذه القضية قوله [١]:-

"...أما الحجاب والثياب فلم نعثر على أثر لأحد الأدباء تعرض فيه إلى ملابس المرأة، أو طالب أن تصل إلى الأرض وتجرها وراءها حين تسير- كما هو وضع النسوة اليوم- بل لم يدْعُ أديب إلى وضع العباءة فوق الثياب، ولم يطالب أحد بتعديل هذه الملابس وضرورة التخفيف من وطأتها، كأن هذا الموضوع متفق عليه، مقبول مألوف، لا يحتاج إلى دفاع يؤيد الواقع أو ينكره إنما جرى الكلام على نقد ملابس النسوة الوافدات على السعودية مع أزواجهن للعمل في حقل من حقولها.. وتناول الإنتاج الأدبي سفورهن وسيرهن في الشوارع بزينتهن وبمفاتنهن.. ولابد من الإشارة هنا أن السعوديات لا يظهرن بملابس غير محتشمة، ولا يبدين زينتهن ولا يتخلعن في الأسواق.. وقد ألح الأدباء على مطالبتهن بالاحتشام والبعد عن هذه الرذائل..".

وتبين بالبحث أن الحقيقة لا تؤيد قول د. بكري من جهتين:- الأولى تخص قوله:- " لم نعثر على أثر لأحد الأدباء تعرض فيه إلى ملابس المرأة... فقد عثر على نتاج شعري كثير بله الإنتاج النثري ، طبع قبل طباعة د. بكري لكتابه بسنوات عدة تعرض فيه أصحابه لملابس المرأة السعودية فقد تعرض عبد السلام حافظ لحجابها وسفورها في ديوانه الفجر الراقص في قصيدته" فتاة الشرق "المطبوع عام ١٣٨٣هـ. كما تعرض الشاعر" إبراهيم فلالي" لملابس المرأة الحجازية وسفورها خاصة ، في ديوانه" ألحاني" المطبوع بدار المعارف بمصر عام ١٣٦٩هـ.

كما تعرض الشاعر" ضياء الدين رجب" لملابس المرأة الحجازية أيضًا وسفورها في قصيدة نشرتها مجلة القافلة عام ١٣٨٧هـ.

هذا غير القصائد التي لم تقع تحت يدي ولعل هذا الموروث الشعري لم يقع

(١) انظر- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية د. بكري شيخ أمين ط الثانية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م دار صادر بيروت ص ٢٨٢.

تحت يد د/ بكري وهذا هو الأقرب للصواب.

أما عن قوله: وإنما جرى الكلام عن نقد ملابس النسوة الوافدات على السعودية ، فهذا قول يخالفه الموروث الشعري عند شعراء الحجاز أيضًا فبالاستقصاء والتتبع لم أعثر على شاعر واحد توجه بحديثه إلى المرأة الوافدة، بل كان التوجه عامًا لكل امرأة شرقية مسلمة في بعض المواضع خاصًا بالمرأة الحجازية والنجدية في بعضها الآخر. وبالمشاهدة رأيت أن المرأة الوافدة– حتى لو لم تكن مسلمة– في حياتنا المعاصرة– تلتزم بالزى السعودي وهي بالمملكة – عند خروجها وفي ذهابها وإيابها – إلى حد كبير وتخشى الانتقاد، وملاحقة رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها فما بالنا بالمرأة الوافدة قبل خمس وثلاثين عامًا؟.

والذي أميل إليه أن د. بكري كان مجاملاً في كلامه هذا والمجاملة ينبغي ألا تكون على حساب الحقيقة.

ومما لا شك فيه أن المرأة السعودية ظلت إلى عهد قريب محافظة على مظهرها، ملتزمة بحجابها، مسدلة خمارها، محتشمة في مشيتها، إلى أن توسع أهل الجزيرة في العمران، وشاع الترف والتحضر والتمدين بين كثير من الأسر السعودية وحدث الانفتاح الواسع على العالم الغربي وغير الغربي عن طريق الفضائيات والانترنت، ووسائل الأعلام الأخرى فتفنن الكثير من السعوديات في الملبس وتبارين في الأزياء والجري وراء الموضة والتقليد، وأخذ البعض منهن يجنحن إلى تجسيم العباءة وزركشتها، والتفنن فيها ما شاء لهن التفنن حتى بدا البعض منهن وهنّ في هذه الملابس الساترة أجذب وألفت نظرًا للرجل ، وكدن في هيئتهن ومشيتهن يضاهين السافرات، لذا انبرى العديد من الشعراء في إبداء الحسرة وإخراج زفرات التأسف والندم، مرددين مضمون قول الله تعالى: ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ جزء من آية ٢٤ سورة المؤمنون .

فلم تكن أمهات الأمس على شاكلة بنات اليوم.

وينبغي– قبل عرض النتاج الشعري في قضية الحجاب والسفور– التنويه على أن شعراء الحجاز لم يسعوا جميعًا إلى غاية واحدة.

فبينا نجد الأغلبية تدعو إلى الحجاب والتحشم في المظهر والمخبر نجد أن الأقلية منهم تدعو إلى تحرر المرأة فتخلع برقعها وتكون مع الرجل على قدم المساواة، وتشاركه في الحياة بكل اتجاهها وفي مختلف نواحيها ودروبها.

فنجد أصحاب الاتجاه الأول الداعين إلى الحجاب يؤكدون على أن الحجاز– كان ولا زال – هو العين الباصرة التي يقتدي بها في كثير من أمور الدين والدنيا لكونه

مهبط الوحي ومنبع الرسالة ومطمح الأنفس ومهوى الأفئدة نظرًا لوجود الحرمين به–كما بينا.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الشعراء الداعين إلى الحجاب، ونبذ السفور وإن اتفقوا في الفكرة فقد اختلفوا في الصورة، وطريقة المعالجة فكل يعالج من زاوية يرى أنها الأنجح والأصلح والأوفق لطبيعة الأنثى.

فهذا إبراهيم جدع يجنح إلى أسلوب المقارنة بين المرأة الملتزمة بتعاليم دينها وتقاليد مجتمعها، وبين المرأة المستغربة التي انصاعت لدعوى المغرضين واتبعت سبل الغواة المتنطعين، وعلى العاقلة الحصيفة أن تختار ما يرضي رب العالمين فيقول(١)

وإذا التقـــــت بلـــــداتها ســـــخروا بشـــــر بلائهـــــا
وتهكمـــــوا مـــــن نزقهـــــا بحـــــديثها وهرائهـــــا
خرجـــت عـــن العـــادات مـــا عاشـــــت علـــــى أدوائهـــــا
وإذا أتـــــى لزواجهـــــا تهفـــــوا لســـــوء وفائهـــــا
خانـــــت عشـــــيرًا وانتهـــــت بالخـــــزي في أبنائهـــــا

ويبدو أن التجربة قد طابت ونضجت في نفس الشاعر فيدعو إلى الاقتران بالمرأة الملتزمة بقيم الدين والتقاليد الموروثة فيقول:–

انظـــر إلـــى تلـــك التـــي ترعـــى جمـــال ضـــيائها
وتصـــونه فـــي بيتهـــا وتعـــيش فـــي أجوائهـــا
ترعـــى حقوقًـــا فـــي الـــزّوا ج علـــى طريـــق بقائهـــا
فـــي أســـرة مزدانـــة بصـــلا حهـــا ونقائهـــا
وإذا مشـــت لنضـــالها عملـــت لرفـــع بنائهـــا

ومع ما تحمل الأبيات من لهجة حادة في التصوير، فالشاعر يرى أن هذه الطريقة قد تكون هي الأجدى في التقويم، وأتمثل في شأنه قول السابق.

(١) إبراهيم محمد جدع– المجموعة الشعرية الكاملة– الأولى ١٤٠٤هـ نادي جدة الأدبي ص ٥٩٢.
هو إبراهيم محمد جدع ولد بمدينة جدة عمل في وظائف حكومية مختلفة توفى سنة ١٣٩٨هـ من مؤلفاته (الإلياذة الإسلامية)نظم شعري, وديوان (أهازيج) والمجموعة الشعرية الكاملة.

فقسا ليزدجروا ومن يك حازمًا فليقس أحيانًا على من يرحم

ويخاطبها عبد السلام حافظ في رباعيته "لا يا فتاة الشرق" بلهجة حادة أيضًا وبلغة تحمل في ثناياها هذا الانفجار البركاني الذي يغتلي به صدره، تعبيرًا عن استيائه لهذا السفور البادي على ملامحها، وهذا التفنن في إبداء الزينة والمفاتن، وما هذا إلا نتاج الغيرة المحمومة على بنات وطنه ودينه، فيذكرها بأصل جلدتها وأنها ينبغي أن تكون لها طباع تخالف طباع المرأة الغربية، فلا معني لهذه الإمّعية، وهذا التقليد الأعمى الذي لا يرتضيه دين ولا خلق أصيل.

يقول في ديوانه الفجر الراقص[1].

لا يا فتاة العصر لا أنا لست صيدك فابعدي
حواء أنت غواية منذ القديم فعربدي

ما شئت كوني غواية حتى يجرجرك الغرور
تتفننين وتسرفين في عرض جسمك والفتون

بالعرى في أوضاعه في حبكة الثوب المشين
أتراك راقصة هنا بميوعة تتخطرين

فالشاعر كما نرى مال إلى العنف والنزعة الهجائية في معالجته.

ورغم اعتماده على الصورة الحقيقية فقد وفق في نقل مشاعره، وتصوير أفكاره وعرض موضوعه وغرضه الشعري.

ويرى علي الفيفي أن في الحجاب وغطاء الوجه بابًا لسد الذرائع إذ يحول دون النظرة التي تجر بطبيعتها إلى البسمة وتغري بالإعجاب فيقول:-[2].

(١) ديوان الفجر الراقص ط شركة المدينة للطباعة والنشر جدة د. ت- بعد عام ١٣٨٣هـ ص ٩٦: ٩٩
هو عبد السلام هاشم حافظ من شعراء بداية النهضة ولد بالمدينة سنة ١٣٤٧هـ من دواوينه ترانيم الصباح صدر سنة ١٤٠٠هـ له شعر موزون وشعر تفعيلة بلغت مجموعاته الشعرية أكثر من عشرين مجموعة. انظر شعراء من الجزيرة العربية من ص ٢٠١: ٢١٠.

(٢) ديوان الأزهار ص ٨٨.

وســـفور عـــن الوجـــوه يـــؤدي دون شـــــك لبســـــمة وتحيـــــة

وينحو سعد الدبَّل منحى آخر، ويعالج القضية من زاوية أخرى يرى أنها أجدى وأنجع من رفع العقيرة على المرأة فيبين أن الشباب من ذوي المروءات والدين، والخلق الرفيع يحجمون عن الاقتران بالسافرات المتبرجات اللاتي خلعن برقع الحشمة والحياء، ولا شك أن رغبة الفتاة المتزنة العاقلة في الاقتران بصاحب الشيم النبيلة هو مطمح نفسها ومطلبها السامي، وعلى العاقلة أن تختار إذن، فهي التي ترسم لنفسها الدرب فيقول: (١).

عاشـــق أنـــت أم لأجـــل المعـــالي تجهـد الـنفس فـي ضـروب المحـالِ
كلمـا الشـوق هزهـا قلـت عـودي وأغـــذى فـــي ســـيرك المتـــوالي

مـــا لقلـــبي وفاتنـــات الجمـــال إذا تعـــرين مـــن وقـــار الجـــلال
ســـادرات في حســـنهن اختيـــالا بـئس حسـنا مـن صـبغة الاختيـال

كيـــف أعـــدو وراء مـــن لوثتـــه عاديـات العيـون فـي كـل حـال
مـــا التقينـــا بـــل الفـــراق حـــرى دعـك منـي فلـيس ذا مـن خصـالي

فكل فتاة سوية ستجد نفسها خجلى من السفور بعد أن علمت إحجام الرجل العفيف عن المرأة المبتذلة السافرة.

ويسلك الشاعر عبد الرحمن آل عبد الكريم مسلكًا تربويًا جديدًا يخالف ما درج عليه الآخرون ألا وهو محاولته إحياء الغرائز الفطرية، والقيم الدينية والأعراف العربية في الفتاة السعودية، فيذكرها بحسن منبتها وطيب أرومتها، فهي ابنة الشهم الغيور الوفي، التي يضرب بها المثل في الستر والعفاف ورجاحة العقل، ويؤكد أنها لا يشينها شيء ولا يؤخذ عليها شيء في مظهرها، إنما يأخذ عليها ترك الحجاب أحيانًا وهذا بلا شك أسلوب جيد في التربية إذ يزرع الثقة في نفس الفتاة ويكبرها في عين نفسها ,كما يذكرها بأنها واحدة من أتباع محمد ﷺ صاحب الشريعة الغراء التي تأمر بالستر والحجاب فقد نص العزيز الرحيم على الحجاب في آي الذكر

(١) ديوان إسلاميات ط الثانية ١٣٩٨هـ مكتبة المعارف الرياض ص ٤٥.

الحكيم اقرأ معي قوله :–[١]

حدثيني يا ابنة الشهم الوفي والتقى والطهر والخلق الصفي
يا مثال الستر يا ذات الحجى كيف لا تهوين لبس المعطف
كيف تستحلين– حينا– تركه قابعا بين ثنايا الأرفف
أنتِ لم تنسي بأنا أمة دينها دين النبي المنصف
إن من أغراك بالميل إلى كشف آيات الجمال المختفي
جاهل أو خادع أو راغب نيل أوتار الشباب المترف
صدقيني إن في الستر حِمى واقيا عن خدش حصن الشرف
فيه يا أختاه– نص واضح وارد في صلب آي المصحف
فلنا في شرعة الله حمى صان عن كسر المرايا فاعرفي

ويبين"طاهر زمخشري" أن قيمة المرأة تكمن في عفافها وحجابها يقول في قصيدته[٢] "حواء العارية"

وليس قيمتها إلا ملابسها وبهرجًا زخرف التمويه ألوانه
وإن تجردت الأنثى تذكرنا عصرًا أطلنا مع الأجيال نسيانه
أيام كنا وكان الغاب موطننا نقاسم الوحش سكناه وأوطانه

ويتهكم عبد الرحمن العشماوي من سوء مسلك الفتاة السعودية المتبرجة، مبينًا أن لكل مجتمع تقاليده، ولكل دين قيمه، فلا يليق بالمرأة المسلمة أن تكون شرقية اسمًا غربية شكلاً ورسمًا، فالازدواجية مذمومة ممقوتة يأباها الإسلام, فعليها أن تربأ بنفسها عن ذلك وتعتز بقيم دينها وأصالتها وعروبتها، بل ومنبتها الأصيل في أرض الجزيرة فيفتتح قصيدته بقوله[٣].

(١) ديوان خلجات قلب الأولى ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م العبيكان ص ٩٨ قصيدة فضل الحجاب
عبد الرحمن عبد الكريم العبيد ولد بالجبيل على الخليج العربي ١٣٥١هـ , له كتاب الأدب في الخليج العربي ط ١٣٧٧ وله ديوان في موكب الفجر, اشترك في إصدار مجلة الخليج العربي .انظر شعراء نجد المعاصرون– عبد الله بن إدريس ط النادي الأدبي بالرياض الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م ص ٣٥٣.
(٢) ديوان أنفاس الربيع ص ٩٦ ط دار الكتاب العربي مصر ١٩٥٥م.
(٣) ديوان إلى حواء– عبد الرحمن العشماوي ط العبيكان الثالثة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م ص ٧: ٧٣ .

هـــذي العيـــون وذلـــك القـــدُّ والشـــيح والريحـــان والنَّـــدُّ[1]
هـــذي المفـــاتن فـــي تناســـقها ذكـــرى تلـــوح، وعبـــرة تبـــدي
ســبحان مــن أعطــى أرى جســدًا إغـــراؤه للـــنفس يحتـــدُّ
عينـــان مـــا رنتـــا إلـــى رجـــل إلا رأيـــت قـــواه تنهـــدُّ
مـــن أيـــن أنـــت أأنجبتـــك رُبـــا خضـــر فأنـــت الزهـــر والـــورد؟
قالـــت وفـــي أجفانهـــا كحـــل يغـــري وفـــي كلماتهـــا جـــدُّ
أغشـى بقـاع الأرض مـا سـنحت لـــي فرصـــة بـــالنفس أعتـــدُّ
عربيـــة فســـألت مســـلمة؟ قالـــت نعـــم ولخـــالقي الحمـــد
فســـألتها والـــنفس حـــائرة والنـــار فـــي قلبـــي لهـــا وقـــد
مـن أيـن هـذا الـزيُّ؟ مـا عرفـت أرض الحجـــاز ولا رأت نجـــد
هـــذا التبـــذل يـــا محـــدثتي ســـهم مـــن الإلحـــاد مرتـــد
ضـــدان يـــا أختـــاه مـــا اجتمعـــا ديـــن الهـــدى والفســـق والصَّـــد
والله مـــــا أزري بأمتنـــــا إلا ازدواجٌ مـــــا لـــــه حـــــدُّ

فقد استهل قصيدته بذكر نباتاتٍ أرض الجزيرة موطنها، كالشيح والريحان والند حتى يذكرها بأصلها العربي وأرومتها التي لا ينبغي إهمالها وقد توالت الاستفهامات التعجبية الإنكارية في القصيدة التي تسفر عن ضيق صدره لما يراه على هيئة بنت الجزيرة.

وفي قصيدة بعنوان "لا تكوني" للشاعر ضياء الدين رجب يناديها "بفتاة الجزيرة العربية"، ليكبرها في عين نفسها ويتخذ من خديجة بنت خويلد– رضي الله عنها أنموذجًا لمثالية المرأة المسلمة فيعمد إلى الوعظ والإرشاد قائلاً[2]:

العشماوي:– شاعر سعودي ولد بمنطقة الباحة ١٣٧٥ حصل على الدكتوراه من كلية اللغة العربية بجامعة الملك سعود عام ١٤١٠هـ عضو بهيئة التدريس بها من مؤلفاته دواوينه، إلى متى، صراع مع النفس، قصائد إلى لبنان، يا أمة الإسلام– انظر :–شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب عبد الكريم الحقيل ص ١٩٠.

(١) الند:– ضرب من النبات يتبخر بعوده.

(٢) شعراء من الجزيرة العربية عبد الله الحميد الأولى سنة ١٩٩٢م حـ ١ ص ١٩٤ وانظر مجلة القافلة عدد ١١٤ ذو القعدة ١٣٨٧هـ ص ٢٨ مجلد ١٥. =

=شاعر سعودي يعد من الأصوات الشعرية النابضة المشاركة في نسيج الإبداع الأدبي والاجتماعي في أوائل القرن الرابع عشر الهجري عمل بالتدريس والقضاء والمحاماة ولد بالمدينة سنة ١٣٣٥ له مجموعة شعرية قدم

يـــا فتـــاة الجزيـــرة العربيـــة ... لا تكـــوني للعـــابثين ضـــحية
إن مجـــد الفتـــاة أكبـــر ممـــا ... صـــوَّروه فـــي بهـــرج المدنيـــة
إن مجـد الفتـاة فـي غرسـة النبـل ... ســـقتها الشـــمائل النبويـــة
كـــل مـــن يتبنـــى حضـــارة بيـــت ... مُســـهم فـــي الحضـــارة العالميـــة
هـــل تناســـيت خولـــة وعلاهـــا ... فـــي مجـــال الـــوغى ومجلـــى الحميـــة
عنـدنا مـن خديجـة المثـل الأعلـى ... ومجلـــــى المفـــــاخر الأبديـــــة
آزرت بالحنـــان والخيـــر فـــدا ... ء أنقـــــــــذ البشـــــــــريَّة
ملأتهـــا ثقافـــة البـــر والخيـــر ... بأســـمى ثقافـــة عبقريـــة
فأضـــأن الســـماء والأرض إيمانـــا ... وحلقـــن فـــي الجـــواء القصـــيّة

والبيت الأخير يوحي بالسمو والإيجابية والطهر معا

وكثيرًا ما توجه الأدباء إلى المرأة محذرين من دعوات الغرب الهدامة ودعوات اليهود المغرضة، تلك الدعوات التي حاولوا جاهدين مواراتها خلف ستار الحرية والمساواة، ومواكبة التحضر والتمدين ، فأكدوا أنها دعوة تخفي وراءها الكثير من الضلال والانحلال الخلقي فهذا عبد الله الشبانة يخاطبها قائلاً [1].

قـال اليهـود لكـل شـعب جاهـل ... كـن ماجنًـا إن شـئت أو تتحضـرا
فـإذا المجـون لـدى الشـعوب تقـدم ... وإذا الشـعوب تـرى الحيـاء تـأخرا
إن الحضـــارة فـــي حقيقتهـــا يـــد ... تبنـــي وعقـــل لا يـــزال مُفكـــرا
ومبـــادئ عليـــا وأخـــلاق بهـــا ... يسـمو بنـاة المجـد فـي هـام الـذرى
قـــد أكـــرم الإســـلام كـــل نســـائه ... أمـــا وزوجـــا ثـــم بنتـــا مـــذ تـــرى

فلتهنئـي يـا أخـت بالـدين الـذي ... لـك مـن ضـلالات الجهالـة حـررا
لا يخـــدعنك مـــنهم أضـــحوكة ... يـــدعونها بـــين النســـاء تحـــررا

لها الأستاذ محمد على مغربي. انظر شعراء من الجزيرة العربية عبد الله سالم الحميد ص ١٧٧ إلى ١٨٠.

(١) انظر الموقع الرسمي عبد الله بن حمد الشبانة ويسمى" نوافل" ولد عبد الله الشبانة سنة ١٩٤٧هـ، حصل على دبلوم الدراسات العليا في الثقافة الإسلامية، تقلب في مناصب عدة لعل آخرها مديرًا عاماً للرئاسة العامة للإدارات. من مؤلفاته:- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء. خطرات ونظرات، مجموعة معالجات إسلامية، وله ديوان الزفرات الحرى- دار اللواء للنشر والتوزيع ١٤٠٨هـ ، وأوزان وأشجان ، انظر موقع الألوكة. جوجل السعودية

وتمسكي بالعروة الوثقى فما زال الأعادي يعملون لُتبترا
قولي لهم مم التحرر لا أرى قيدًا إذا أريد لي أن أكفرا(١)
إن القيود لديكم أما أنا فالقيد منذ مجيء ديني كسرا
قولي لهم إني رأيت نساءكم فعلمت أن الأمر كيد دبرا
أنساءكم أسعدتموا من قبلنا إن قلتموها قلت "إفك يفترى"
لن تخدعوا والله مسلمة ترى في النور والأحزاب نهجا نيّرا

فالشاعر يريد أن يلفت نظر المرأة المسلمة إلى ما يدعونه "التحرر" بالوقوف على أمر المرأة الغربية وحالها، وإلى أي حد وصلت بتحررها إلى طريق الشقاوة والتعاسة رغم تحضرها كما يدَعون، لتأخذ منها العبرة والعظة فما دعوى التحرر إلا الأباطيل. وكما نرى استعانة الشاعر بأسلوب التجريد في بيته قبل الأخير ليضفي على الحدث مزيدا من الواقعية والحياة.

وينصح عبد الرحمن الحمادي المرأة المسلمة بالاعتزاز والفخار بحجابها ، وأن تصمد أمام دعاة التحرر والسفور فيقول(٢) على لسان المحجبة.

رجوتُ شموخي فارتديتُ حجابي وأبقيت في ستري نضار شبابي
حجابي لي الستر الحصين فليتها في كل بنت وقفتي وصوابي
فعزى شعاري والإباء طريقتي وعرضي مصون في لزوم حجابي
وما أنا في قيد الجهول أسيرة فيخدش عرضي أو يروم نهابي

وتأمل معي لفظة الشموخ في البيت الأول ومدلولها وكون الشموخ يكمن في الحجاب والستر والعفاف, كما تأمل الاستعارة في بيته الأخير الذي صور خلاله من تتبع هواها وتسفر عن جمالها ووجهها بالأسيرة التي ترسف في القيود.

وبعد:– فهذا غيض من فيض مما أنتجته قرائح الشعراء في الحجاز إسهامًا في التنوير وتقريرا لفريضة الحجاب،

بيد أننا وجدنا على الصعيد الآخر– كما ألمحنا– من يدعو إلى السفور والتحرر,

(١) البيت مكسور

(٢) مجلة مساء العدد ١٩ جمادي الأولى ١٤٢٣هـ ص ٤٥.

وعلى رأس دعاة التحرر محمد حسن عواد يقول د. إبراهيم بن فوزان الفوزان[1] مشيرًا إلى دعوته للسفور

"... وقد شغل الأدباء ورجال الصحافة بقضايا المرأة وسائر البلاد العربية وقد انقسموا إلى مجموعتين في نظرتهم إلى قضاياها.

حيث تطرف بعضهم ودعا إلى سفورها مثل قاسم أمين في مصر وصدقي الزهاوي في العراق، والعواد في الحجاز، الذي تطرف في دعوته إلى السفور، ومما جاء في إحدى مقالاته التي كتبها تحت عنوان "إليهن" قوله: "...زحزحن بأيديكن لا بأيدي الرجال هذا الحجاب الدخيل على عادات العرب ولا تنخدعن بعاداتنا في الحجاب".

ويقول في موضع آخر في ديوانه نحو كيان جديد يدعو إلى السفور:

تنطع قوم فقالوا الحجاب ... وعاند قوم فقالوا السفور
ورامو من الدين فصل الخطا ... ب وما بالتعسف تقضي الأمور
فقال الحجا لكلا القائلين ... ن ضللتم ضللتم سواء السبيل

بيد أن الأدباء لم ينقصوا عن غايتهم، ولم يتقاعسوا عن مهمتهم التي تسعي إلى تقرير الحجاب وإلى التنوير ومكارم الأخلاق فتصدوا للعواد وأمثاله.وممن تصدوا لدعوته الشاعر إبراهيم فلالي في قصيدته السفور ومما جاء فيها قوله:-[2].

إن كانت الدنيا تدور ... ومشي لموطننا السفور
دهت الحجاز مصائب ... شم الجبال لها تمور
إن النساء ودائع ... فدعوا الودائع في القصور
والغصن يعطبه التعرض ... للعواصف والهجير
رفع النقاب عن النسا ... ء فبؤن بالثوب القصير
وإذا الشوارع كالمعا ... رض للخصور وللنحور
وإذا الحريم ينم عن ... جسد أرق من الحرير

(١) انظر الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد حـ ٢ ص ٧٩٧.

(٢) ديوان ألحاني دار المعارف بمصر القاهرة ١٣٦٩هـ ص ١٧٦

وانظر شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب عبد الكريم الحقيل ص ٢٣٠ .

إبراهيم فلالي– شاعر سعودي ولد بمكة سنة ١٣٢٤هـ وتوفى سنة ١٣٩٤هـ بالقاهرة نزح إلى القاهرة منذ مدة طويلة، من مؤلفاته ديوان الحاني وديوان صدى الألحان، وأين نحن اليوم.

هـــــذا التبـــــرج للمـــــلا وخلاعـــــة الجســـــد المثيـــــر
مـــــن قـــــال إنـــــك لعبـــــة الجـــــــــنس الحقيـــــــــر

ولاحظ معي جمال التشخيص في البيت الأول , والذي جعل الشاعر خلاله للسفور رجلا , وقد أدى الجناس في البيت السابع بين الحريم والحرير دورا في تحسين الصورة وجمالها.

ومما ينبغي التنويه عليه أن ما تعرض له الفلالي من تصوير المرأة الحجازية بهذه الصورة من التحرر والسفور لا ينطبق على كل مناطق المملكة، بل نكاد نجزم أنه لا يتخطى بعض المدن الكبرى كجدة والرياض ومكة والمدينة نظرًا للتحضر والتمدين الذي أصبح عليه كل من هذه المدن ولكون التّزاوج اللغوي والحضاري في هذه المدن أبدى وأظهر من غيرها، بل لا يخطئنا الصواب إذا قلنا بأن هذا السفور والتبرج لا يتعدى بعض الشابات المراهقات، غير أنها الغيرة الإسلامية التي لا ترضي بالدون و تريد أن تربأ بنفسها وبنات دينها ووطنها عن الرزيلة،

وقد عالج الشعراء القضية من منظورين إحداهما ديني منبثق مما ورد في الكتاب الكريم وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم,وثانيهما خلقي منبثق من تلك القيم التليدة التي توارثها العربي عبر القرون من ضرورة ستر المرأة لوجهها والحشمة وعدم الاختلاط بالرجال

ثانياً:- تعليم المرأة

أسهم الأدب في نشر هذه القضية وتفعيلها وتقديمها بين يدي الحكام والمسئولين من أجل نشر الوعي الثقافي بين أفراد المجتمع، وحاول الشعراء جاهدين حمل ذوي الفكر القاصر– الذين يريدون أن تظل المرأة حبيسة البيت ترعى شؤونه ويكفيها من دنياها المأكل والملبس والمسكن– على الاقتناع برأيهم في حتمية أن يكون للمرأة حق في التنوير والتعليم، مؤكدين أنها بتعليمها وتنويرها ستكون مدرسة لأبنائها وأبناء جيلها، وستسهم بدور فاعل في إنشاء جيل فاضل مثقف ينتظر منه العطاء.

وقد اتكأ أدباء الحجاز وارتكزوا في معالجة هذه القضية على ما أسهم به الأدباء في الأقطار الأخرى التي سبقت الحجاز في تجشم هذا المعترك وخوض المرأة مجال التعلم خاصة إقليم مصر.

ومن الجدير بالذكر أن الدعوة إلى تعليم المرأة في المملكة السعودية كانت تمشي في بدايتها على استحياء، و كثيرًا ما قوبلت بالرفض والنيل من دعاتها

والمؤيدين لها، حتى إن الدولة أمرت وزير المعارف "طاهر الدباغ" آنذاك بإيقاف التسجيل مؤقتًا في مدارس تعليم الإناث حرصًا على تهدئة النفوس، والبُعد عن دواعي الفتنة بين الناس.

ووصل الأمر إلى أن نجد من بين الدعاة إلى تعليم المرأة من يرمز باسمه خشية أن تصبه نقمة المعارضين وسخط المحتدين.

يقول من يرمز باسمه بـ ح . ع[1].مؤكدا ضرورة مواكبة ركب العلم والحضارة

طحا بنا الجهل وألوى بنا ... حتى حسبنا كل علم ددا
اتخذ الغرب بعرفانه ... أريكة الشمس له مقعدا
يسعى كلا الجنسين كلٌ على ... مبدئه ما إن يخاف الردى
هذي تحوط النسل تعني به ... وذاك في الحرب يصد العِدا

وقد أجاد الشاعر وأوجز في بيته الثاني, في تصوير أمر ما انتهى إليه الغرب في مجال التقدم العلمي والتكنولوجي والنظر المعرفي.

وقد طرح الأدباء الفكرة منذ ما يقرب من مائة عام، ومن أوائل الناهضين بهذه الدعوة أحمد السباعي، محمد حسن عواد، وأمين العقيل وابن خميس.

فهذا محمد حسن عواد يؤكد على أن تعليم المرأة وتثقيفها سيعود على الأسرة والمجتمع ككل بالخير والنفع لا محالة ، فيقول في ديوانه أماس وأطلاس[2] في قصيدته "المرأة"

واجب تهذيبها فهي لنا الـ ... أم والزوجة والحصن المكين
هي تعطي الطفل من مبدئه ... وجهة الفهم وسر المدركين
فإذا أهدته من فطرتها ... حكمة أمَّ طريق النابهين
وإذا ما نفشت فيه على ... جهلها الجهل نأي في الخاملين
ففتاة الشرق في الشرق هدى ... وبنات الشرق أساس للبنين

(١) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن ١٣٤٥هـ، ١٣٩٥هـ عبد الله الحامد، منشورات نادي المدينة المنورة ص ٢٦٦ نقلاً عن جريدة صوت الحجاز العدد ١٢٤ السنة الثانية جمادي الثانية ١٣٥٣هـ.

(٢) ديوان أماس وأطلاس مطابع دار الكشاف بيروت ط ١٩٥٢م ص ٧٣.

ويشير عبد الفتاح أبو مدين إلى أسبقية العواد في الدعوة إلى تعليم المرأة وتوظيفها فيما يناسب طبيعتها، فيقول عند حديثه عنه:- "فأديبنا الكبير من أوائل من دعا في بلادنا إلى تعليم المرأة، وأن تكون في محاذاة الرجال لطلب العلم، بما يتوافق مع خصائصها بعامة، تشارك في بناء الوطن بفاعلية، ويخاطب المجتمع النسائي بقوله "فكرن كيف تخدمن بلادكن ليزداد رصيدها من الحضارة، طالبن قومكن وآباؤكن برفع مستوى النساء، إن حقوقكن في العيش توصي بحقوقكن في التقدم(١).

ويؤكد إبراهيم العلاف حقها في التثقيف والتعليم عن طريق طرح رأي الإسلام في هذه القضية، وأن الإسلام لم يجعل التعليم حكرا على الرجال ووقفا على الذكران، فقد تعلمت المرأة في الرعيل الأول من معلم الأمة محمد ﷺ ومن أمهات المؤمنات وقد وعدهنﷺ يومًا لقيهن فيه فوعظهنّ وأمرهن (٢).وأفضل العلم ما ناسب أنوثتها وطبيعة خلقها وضعفها، ويؤكد أن تبعة جهل المرأة ستعود على أبنائها و أسرتها لا محالة.

اسمعه يقول في قصيدة ألقاها أمام وزير المعارف آنذاك الملك فهد بن عبد العزيز عام ١٣٧٣هـ. (٣) تحت عنوان "يد الإصلاح".

وللفتاة رجا لولا الحجاب لما	وقفت عنها لديك اليوم أبديه
العلم في شرعة الإسلام مشترك	ما كان وقفا على جنس فيحويه
وأفضل العلم ما يرعى أنوثتها	حذار أن تـدَري فيه بتشويه
والأمهات إذا ما كن من سفه	فاحكم على الجيل أن النقص حاديه

وكما سبق أن أشرنا أن دفاع أدباء الحجاز عن حق المرأة في التعليم متأثرين فيه بأدباء مصر ,و خاصة ما جاء عند شاعر المجتمع حافظ إبراهيم، فقد ساروا على دربهم في بيان دور الأم المتعلمة وأثرها في تربية جيل متعلم مثقف، بل إننا نجد من بين شعرائهم من يسمي بعض قصائده بما نص عليه حافظ في دعوته،

(١) ألف صفحة وصفحة من الأدب والنقد- عبد الفتاح أبو مدين الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م ط وكالة الرواد للدعاية والإعلان جدة رقم الإيداع ٣٨٥٤/ ١٤٣٠ ص ٦٣٠.

(٢) انظر مختصر صحيح البخاري للزبيدي تحقيق إبراهيم بركة- دار النفائس – بيروت الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م كتاب العلم ص ٤٣.

(٣) ديوان وهج الشباب الطبعة الثانية مؤسسة مكة ١٣٨٤هـ ص ٧٠ سبق التعريف بالشاعر.

فإذا قال حافظ إبراهيم حاثا على تربية النساء[1]:

من لي بتربية النساء فإنها ... في الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبًا طيب الأعراق.

فإن ابن خميس يقول في نفس المعنى [2].

يا نصير العلم هل من شرعة ... تمنع التعليم عن ذات الخبا
إنها في ذاتها مدرسة ... إن خبيثا أنجبت أو طيبا
يخرج الأطفال منها صورة ... إن ينالوا العلم ضلوا الأدبا

فالشاعر ينبه على خطر جهل الأمهات ، فإن خطرهن لا يقتصر على الزوج فقط، بل يتخطاه إلى النشء والأسرة جميعها

وهذه القصيدة من أوائل الدعوات الصريحة التي نادت بتعليم المرأة في زمن كانت الدعوة إليه جريمة، وقيلت بمناسبة تولي الأمير فهد بن عبد العزيز آنذاك وزارة المعارف السعودية في حفل أقيم له بالحجاز عام ١٣٧٣هـ

ويدفع غازي القصيبي عن المرأة ما لصق بها، ورسخ في ذهن الكثير من الرجال من أنها خلقت للمتعة والشهوة وحسب فيقول[3]:

ضل الأولي حسبوك ... جسما لا يملون اغتصابه
وضجيعة مسلوبة الإحساس ... طيِّعة الإجابة
وذبيحة نحرت ليأتي ... الذئب منها ما استطابه
وبضاعة في السوق باعتها ... العصابة للعصابة

١() ديوان حافظ إبراهيم باب الاجتماعيات– ص ٢٨٤.

(٢) انظر ديوانه على ربى اليمامة– الأولى ١٣٩٧هـ مطابع الفرزدق ص ٢٣١.

عبد الله بن محمد بن خميس، ولد بالدرعية عام ١٣٣٩هـ حصل على شهادتي الشريعة واللغة العربية بكلية مكة المكرمة، عمل مديرا عاما لرئاسة القضاة (وزارة العدل حاليا) من مؤلفاته الأدب الشعبي في جزيرة العرب و (شهر في دمشق) وديوان على ربى اليمامة نال جائزة الدولة التقديرية عام ١٤٠٤هـ انظر شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب للحقيل ص ٨٣.

(٣) انظر الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية – مسعد العطوي – ط فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ١٤١٧هـ صـ٢٣٢.

ولقد كان حافظ إبراهيم أكثر تحشما في تصوير المرأة في عين بعض الرجال حين قال[1]:

ليست نساؤكم حلى وجواهرا ... خوف الضياع تصان في الأحقاق
ليست نساؤكم أثاثا يقتنى ... في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الأزمات في أدوارها دولا ... وهن على الجمود بواق

وقد استجابت المملكة بالفعل لدعوات الأدباء المثابرة الدءوبة لتعليم المرأة فقد صدر المرسوم الملكي سنة ١٣٧٩هـ ١٩٥٩م يقضي بإنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات، ثم بدأ التعليم الرسمي للفتاة السعودية عام ١٩٦٠م بإنشاء أول مدرسة رسمية ابتدائية للبنات.

والشعراء في حثهم على تعليم المرأة ودعوتهم إليها، يراعون المنهج الإسلامي في ذلك من ضرورة أن تخرج المرأة للتعليم في كامل حجابها، وألا تختلط بالرجال.

فهذا طاهر زمخشري[2] يدعو إلى تعليم المرأة دعوة مشروطة– كما قلنا– بالاحتشام والعفاف فيقول[3].

من وراء الخمار ألمح نورا ... فاض بين السطور يجري نميرا
في (حراء) الغراء في الأمل المش ... رق أهدى إلى الحياة بكورا
والتباشير في الملاءات لفت ... في الثنايا من الخرائد حورا
سكبته حرائر تخرس الورق ... ومنها الصدى يروي البحورا
والقوافي مرجعات لما نمقن ... سحرا ورونقًا وزهورا

وتصوير العلم بالنور تصويرا قديما متداولا .فهو يحلم بامرأة متعلمة مبدعة تأسر الأذن بشعر يروق ويشنف السمع.

والشاعر في دعوته لتعليم المرأة، يستقي من الماضي الزاهر بأمهات المؤمنين والصالحات من عباد الله المثل والنموذج الفريد، فقد ضربن أروع المثل في العلم

(١) ديوان حافظ إبراهيم –شرح محمد أمين وآخرون –الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة ١٩٨٧م–صـ٢٨٢.

(٢) انظر الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية، د مسعد العطوي ط فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض. ١٤١٧ ص ٢٣٢.

(٣) طاهر زمخشري شاعر سعودي– ولد عام ١٣٣٢هـ بمكة المكرمة، صدر شعره في مجموعات شعرية، نال جائزة الدولة التقديرية ١٤٠٧هـ– انظر الموجز في تاريخ الأدب السعودي ص ١٣٧.

والحرص عليه، ومزاحمتهن الرجال في ميدان العلم والرواية والتمحيص، فدعوته ليست بدعا منه، وللمرأة المسلمة في أسماء والحميراء وفاطمة الزهراء القدوة والمثل الأعلى في العلم والتقى.

وقد ظل الشعراء وراء هذه القضية معضدين ومناصرين، ومآزرين حتى بعد أن استجابت الدولة وفتحت المدارس، فقد حدث أن تدخل عدد من أولياء الأمور مثبطين الهمم مشككين في جدوى التعليم مما حدا بالكثير من الشعراء إلى تقصيد القصائد، مؤكدين خلالها سلامة المقصد وعظيم المنفعة، محاولين إزالة هذه المخاوف والهواجس من صدورهم , يقول طاهر زمخشري في ذلك[1].

مارفعنا الحجاب عنهن لكن ... قد قشعنا سحائب الظلمات
قد فتحنا عيونهن على العلـ ... ـم فنافسن بالسنا النيرات
وتبارين في أداء الرسالا ... ت فطاب الإسراء بالمحصنات

ونجد من بين الدعاة من ينصرف إلى الفتاة نفسها، محفزا ومشجعا ومرغبا، نافيا ما يتردد في فكرها وما يداخلها من وساوس وهواجس الإحجام عن ممارسة حظها المشروع في التعليم والتثقيف، مؤكدا أن درب العلم هو درب الهداية والنور, يقول إبراهيم الزيد[2].

فيم انتظارك أفصحي ... والعلم أحلى مورد
من عاش في جهل فلي ... س من السهولة يهتدي

ويمضي إبراهيم صعابي على هذا النهج محفزا ومشجعا قائلا[3].

دعي التردد في التعليم وارتقبي ... فجر الحياة وجوبي الأرض والقمما

ويرسم على الفيفي للفتاة دربها في طريق التعليم حتى لا تضل الطريق مبينًا

(١) انظر المجموعة الخضراء الأولى ١٤٠٤هـ دار تهامة للنشر جدة ص ٤١٠.

(٢) إبراهيم محمد الزيد ولد بالوشم سنة ١٣٥٧هـ، حاز على الدكتوراه من جامعة اكسترا ببريطانيا ، تنقل في وظائف عدة منها أستاذ مشارك بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز، من مؤلفاته ديوان المحراب المهجور، وأغنية الشمس – شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب للحقيل ص ١١١.

(٣) إبراهيم عمر صعابي ولد بجازان سنة ١٣٧٤هـ انخرط في سلك التدريس بعد أن حصل على دبلوم الكليات المتوسطة، ومن مؤلفاته الشعرية (حبيبتي والبحر) (زورق في القلب) (وقفات على الماء) – شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب للحقيل ص ١٥٤، – نادى الطائف الأدبي، مطابع الزائدي الطائف ١٣٩٩هـ ص ٤٢.

أنها متى ما ترسمته ارتقت إلى ذروة المجد، فعليها بالاحتشام والحجاب، والثبات على الدرب واليقين في الخير العميم من الله تعالى وإخلاص النية، والجد في التحصيل، والمحافظة على الوقت من الضياع، حتى لا يخيب مطمح الأبوين فيها إذ هي أهملت دروسها يقول[1].

جمعت خير الصفات ... وتحلت بالثبات
شَمَّرت عن ساعديها ... فأتت بالمعجزات
ومشت في الدرب سعيا ... رغم كل العقبات
قطعت شوطا بعيدا ... بالجهود الخيرات
قالت الجهل سأرم ... يه ببحر الظلمات
أطلب العلم بعزمي ... واجتهادي وثباتي

وبأخلاقي وعلمي ... وعفاف المؤمنات
وحيائي وابتعادي ... عن جميع الشبهات
سوف أحظى باحترام ... الناس في كل الجهات

وتمضي الدعوة لتعليم المرأة، والأخذ بيدها إلى الارتقاء فكريا ودينيا وخلقيا حتى يفرض التعليم نفسه على الساحة الاجتماعية، وحتى نجد من يفاخر بهذه الثمرة الناضجة، والتي آتت أكلها، وظهر أثرها على الفتاة، فبدت تشارك في المحاورة والمحاجة القائمة على أرض راسخة من العلم والمعرفة.

اقرأ معي شعر عبد العزيز الرُّويس[2] وهو يباهي ويفاخر بأخواته المتعلمات رغم ضحالة نصيب الأب من التعليم.

أختي اليوم تشاركني الفكر ... انظروا نورا ونجوى وسحر
ابنة السقاف بدر ساطع ... حقلها أعطى لنا خير الثمر
وثريا وشعاع جلتا ... عالي الفكر بتعبير أسر
وجهير أبتغيها تمتطي ... صهوة الفكر لكي تنفي الكدر

(١) ديوان رحلة العمر – علي حسين الفيفي الأولى ١٣٩٧هـ نادي الطائف الأدبي ص ١٩.
(٢) عبد العزيز الرويس، ديوان حصيد الزمن، الأولى بدون تاريخ ص ٢٧٢.

مثلهـــا كـــم مـــن فتـــاة لمعـــت وغـدت تعطـي مـن الـروض الزهـر
قـــدرة التعبيـــر تحيـــى غرســـنا هـــي غـذا القـاري وبالسـير قمـر
هـــي للمهمـــوم تجلـــى همـــه وهـــي للباحـــث نهـــر مســـتمر

وقد أجاد الشاعر حين شبه القدرة التعبيرية لدى الفتاة المتعلمة بالقرى الذي يقدم للضيف وبالقمر الذي يهدي الساري
ونمضي- أيضا- مع الأيام ونجد من بين الآباء من يوصي ابنته- وهو في مرضه- بالارتقاء في سلم العلم والتقدم في ميدان المعرفة إلى أقصى الدرجات، وبأن تحمي نفسها من دنس الرزيلة يقول(١).

أبنيتـــــــي لا تســـــــرفي صـــــوني الـــــدموع وكفكفـــــي
وإذا تعثـــــر فـــــي الثـــــري جســـــد فـــــلا تتأســـــفي
واحمـــــي إزاري أن يـــــدنس فـــــي الهـــــوان ومعطفـــــي

وإذا دعـــاك النصـــر لا تهنـــي ولا تتـــــــــــــــــــــــــــوقفي
شـــدي حزامـــك واصـــعدي علمـــــا يشـــــع ورفرفـــــي
قـــولي هنـــا بطـــل الفـــداء هنـــا الأبـــي هنـــا الـــوفي

والقصيدة تزخر بخصائص الأسلوب التصويري, فالكناية يكتنفها البيت الثاني والثالث والخامس ,فقد كنى في البيت الثاني عن الموت بالتعثر في الثرى وكنى في البيت الثالث عن العفاف والصون بحمي الإزار وكنى في البيت الخامس عن الجد والتشمير في تحصيل العلم بشد الإزار ونجد الاستعارة في دعوة النصر والتي يكتنفها البيت الرابع, ونلاحظ سيادة الأسلوب الإنشائي في القصيدة الذي كان ضرورة اقتضاها الموقف ودعت إليها عاطفة الأبوة الحانية ,وقد اعتمد الشاعر على إيحائية الأصوات والألفاظ في القصيدة
ويتجه بعض الشعراء إلى المعلمة مناشدا إياها أن تكون دءوبة مثابرة على رعاية بنات جنسها، وتأخذ بأيديهن إلى سبل الرشاد، مبينا أن رأس التعليم هو القدوة، ويشيد بدورها البارز في التعليم، فمتى خرجت لنا فتيات متعلمات فضليات،

(١) ديوان عيون تعشق السهر، أحمد باعطب ، دار الأصفهاني للطباعة جدة ص ٦٠.

أصبحت بيوتنا منارات يهتدي بها الساري، ومنابع يمتح منها الأجيال يقول عبد العزيز الرويس[1] مخاطبا المعلمة.

أختي التي في الفصل تبني بنتها ... يا قدوة زينت بخير خلال
أعطي الدروس ونوري لبناتنا ... يا أم أبنائي وبنت الخال
إن النساء إذ اكتملن تعلما ... تمسي البيوت مدارس الأجيال

وبعد:- فقد نجح الشعراء في الإسهام في قضية تعليم البنات وفرضها على الساحة وترسيخها في عقول وقلوب الجميع عن طريق عرض الموضوع على ولاة الأمر والحكام ومحاولة إقناع الآباء ورعاة المرأة بجدوى التعليم ومنافعه.

ثالثًا: قضية الزواج

لا نبالغ إذا قلنا إن قضية الزواج رأس القضايا المتعلقة بالمرأة في المجتمع السعودي، ولها السهم المعلى من الرصيد الديني والأدبي، فهي من أكثر الموضوعات تناولا, نظرا لتشعب جهاتها, وكثرة المشكلات الناجمة عنها, والقضايا المنبثقة منها, من طلاق وتعدد للزوجات، ومن ظلم لبعض الضرائر، وحرمان للكثير من الفتيات من الزواج بمن تريد أو حرمانها منه بالكلية.

وانبرى الشعراء في معالجة هذه القضية من مختلف جوانبها،وجميع زواياها ومن الأفضل أن نتناول كل قضية فرعية متعلقة بالزواج على حدة ولنبدأ بـ قضية العنوسة[2].

ولا تعني العنوسة عدم زواج الشاب أو الفتاة بالكلية، إنما تعني تأخر سن الزواج بالنسبة للشاب أو الفتاة، وقد حُدد سن العنوسة بالنسبة للمرأة بخمس وعشرين عاما فما فوق، وقد حدده البعض بثلاثين عاما فما فوق[3].

وقد جاء في جريدة البلد السعودية إحصائية لوزارة التخطيط تنص على "أن هناك حوالي مليون ونصف من العوانس في المملكة بلغن سن الـ (خمس وثلاثين) عاما ولم يتزوجن وهناك دراسة أخيرة تشير إلى أن عدد الفتيات المتزوجات في المملكة بلغ مليونين وخمسمائة واثنتين وسبعين ألف أنثى[4].

---

(١) ديوان حصيد الزمن الأولى ص ٣٣٤.

(٢) يقال عنست البنت، عنسا وعنوسا بقيت طويلا بعد بلوغها دون زواج فهي عانس.

٣() الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية بكري شيخ أمين ص ٢٨٥ بتصرف.

(٤) جريدة البلد السعودية عدد الأربعاء ٣٠ مايو ٢٠١٢م.

وقضية العنوسة تشكل داءا اجتماعيا خطيرا يؤرق الكثير من الأسر، مما جعل علماء الاجتماع ومفكريه يسعون جاهدين للوصول إلى علاج ناجع لهذه القضية، وذلك لأن الفتاة – وإن كانت على قدر عال من الحشمة والعفاف– أحوج ما تكون إلى الزواج، فالزواج يعني للمرأة الأنس والسكن والمودة والعفاف، وقديما صورت المرأة العربية الحاجة إلى الزوج فقالت في غياب زوجها في الغزو(١).

تطاول هذا الليل و اخضل جانبه ... وأرقني أن لا خليل ألاعبه
يسر به من كان يلهو بقربه ... لطيف الحشا لا يجتويه أقاربه
فو الله لولا الله لا شيء غيره ... لزحزح عن هذا السرير جوانبه
ولكنني أخشى رقيبا موكلا ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

ويصور علي الفيفي(٢) شعور الأنثى حين يجتازها الركب، وشعورها أيضا حين تبتسم لها الأيام وتشرق لها الدنيا،فيقول في ديوانه شذى الأزهار:–(٣).

الأمنيات تبسمت وتحققت ... للصحب من بعد الضنا إلا أنا
ومشوا على الدرب السوي ولم أجد ... دربا أسير عليه إلا المنحنى
وجنوا ثمار الود يانعة وما ... لاقيت من روض المودة من جنى
وافتر ثغر الوصل يمسح أدمعا ... في أعين العشاق من بعد الضنا
تتماوج الأفراح في نظراتهم ... وعليهموا حلل السعادة والهنا
نالوا المنى فتبدلت أحزانهم ... فرحا ويا بشرى لمن نال المنى
ومشيت والحظ التعيس كأنه ... ظلي فأبني وهو يهدم ما بنا
إن أزرع الورد الجميل فإنه ... يغدو قتادًا أو حرابا أو قنا(٤).

(١) أنظر أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر تأليف :– علي الطنطاوي وناجي ا لطنطاوي المكتب الإسلامي – بيروت– لبنان الثامنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ص ٣٣٥ نقلاً عن المحاسن والأضداد للجاحظ ١٣٢٤ ط مصر.

٢() على حسين الفيفي. شاعر سعودي ولد في جبل فيفا عمل بالجيش العربي السعودي إلى أن تقاعد، من مؤلفاته:– مع أصداء الذكريات،ومن دواوينه(أجراس)، (رحلة العمر) (شذى الأزهار) ش. انظر شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب للحقيل ص ٣٤..

(٣) شذى الأزهار علي حسين الفيفي الثانية ١٤٢٨هـ, مطابع المشهوري, الطائف رقم الإيداع ١٤٢٨/٢٧٠١هـ ص ٣٥: ٣٧

(٤) القتاد: نبات صلب له شوك كالإبر من الفصيلة القرنية ومنه يستخرج أجود الصمغ.
الحراب: يقال أحرب الرجل النخل لقحه بالحرب.

حتى إذا ما دب في نفسي الأسى وحسبت نور الشمس أصبح داكنا
فإذا المنى تدنو ويشرق وجهها وهتفت يا بشرى فقد دنت المنى
فالكاذ من (فيفا) يفوح عبيره والفل من أبها يناجي السوسنا[1].
والند والريحان بين أكفنا والزهر يشرق من هناك ومن هنا
فتمتعي يا مقلتي ولك الهنا وتنعمي يا مهجتي بعد الضنى

فتأخر الفتاة عن لداتها ونظائرها في الزواج من شأنه أن يحدث حالة من عدم الاتزان في السلوك والتفكير والحالة النفسية، فقد بدأت العانس, تغبط لداتها لسبقهم إياها وتأخر الركب بها ،كما يصور شعورها بعد الزواج، وكأن الطبيعة الحية والصامتة تشاركها هذه الفرحة وتلك المسرة لتحقق الأمل وإن جاء بعد طول ترقب وانتظار. ولقد كان للقافية المطلقة دورها البارز في إخراج زفرة الحزن والآهة الحارقة أولا وتصوير الهناءة والسعادة ثانيا وقد وظفت الوحدات اللغوية توظيفا جيدا واعتمد عليها في تعميق رؤيته مثل التعبير بالإثتثناء في البيت الأول والثاني والمقابلة بين حالها وحال لداتها ممن تبسمت لهم الأمنيات.

و كان احتفاء من الشاعر بالأسلوب الخبري القاطع الدلالة وإن وجدنا الأسلوب الإنشائي يطل علينا في نهاية القصيدة ليعكس الحالة الشعورية للفتاة بعد أن صافحتها السعادة ,ونلاحظ مواءمة جيدة من الشاعر بين الفكرة والألفاظ ومن ثم وجدنا أثناء الحديث عن تأخر الفتاة في الزواج عن لداتها ألفاظ :– المنحنى, الحظ التعيس ,قتادًا, حرابا, قنا ,داكنا, ثم جاءت فكرة التعبير عن سعادتها بعد تحقق الأمل من خلال التعبيرات :–المنى تدنو , يا بشرى ,الزهر يشرق ,وهذا التواؤم يدل على توفيق الشاعر وقدرته في إعطاء كل معنى ما يستحق من انفعال والإتيان بما يجانسه من الألفاظ والتراكيب.

ومن خلال استقرائنا للنتاج الشعري لأدباء السعودية ظهر خيط مشترك بينهم جميعاً، يضع الوالد المتهم الأول والمسؤول عن عنوسة بناته، وما قد يحدث منهن من جنوح وشذوذ وحالات نفسية.

(١) الكاذ: الكاذي: جنس نباتات منبتها البلاد الحارة، لأزهارها رائحة جميلة
الند: ضرب من النبات يتبخر بعوده..

وقد بيَّن الشعراء أسباب العنوسة وفندوها، وأوضحوا أنَّ على رأسها وقوف الأب عائقا دون زواج ابنته، فإما أن يبالغ ويغالي في مهرها، وإما أن يؤثر بقائها عنده لكونها موظفة وذات دخل كبير وزواجها يفقده هذا الدخل.

ومن المعروف أن مهر المرأة السعودية هو هدية ومنحة يعطيها العريس لعروسه، دون أن يطلب منها أو من ذويها أو ولي أمرها أن يُسهم منه أو به في بناء عُش الزوجية من أثاث وخلافه، وبالتالي فالأب – وهو الولي الشرعي للفتاة غالبا– يأخذ مهرها ويتصرف فيه كما يحلو له أو يدخره ولا شأن للعريس في أي تصرف يصدر منه في هذا الأمر.

وبلا شك أن هذا العُرف لدى أهل الجزيرة يدفع الأب في كثير من الأحيان إلى المغالاة في مهر ابنته، إذ أنه يعلم أن ما يُدفع من قبل العريس وأهله سيعود إليه لا محالة.

وإذا علمنا هذا فلا مجال للشك إذا في أن غلاء المهر يُسهم بشكل فاعل في قضية العنوسة، إذ أن الشاب لعلمه بمقدار مهر الفتاة الذي يتراوح – غالبا– ما بين العشرين والسبعين ألف ريال– لن يُقدم على خطبتها إلا بعد أن يتوفر له المهر, وبقية متطلبات الزواج من عُشٍ لائق بعروسه به كافة متطلبات بيت الزوجية – ونحن نعلم جميعاً أن الشاب في مقتبل حياته خاصة إذا كان حديث التخرج– وغالباً ما يكون ذلك حالياً – لا يملك من المال ما يكفي حاجاته الشخصية بله ما يتقدم به لخطبة فتاة فتمضي به سنون عديدة حتى يحقق مبتغاه .

وقد ندد كثير من الأدباء بهذا المسلك –غير اللائق– من قبل ولي الفتاة وبينوا آثاره الضارة التي تمحق الفتاة محقاً، وتُقلق أمن الأسرة بل والمجتمع بأسره –كما سبق إيضاحه–

ويرجئ د. مسعد العطوي[1] غلاء المهور في المملكة إلى:– " طغيان المادة، وهيمنة الإسراف والتبذير والمظاهر، " . وقد ألحّ الشعراء في توضيح المنهج الإسلامي في الزواج وبيَّنوا الغاية منه، ووقفوا في وجه الآباء وأولياء الأمور مطالبين الآباء أن يأخذوا بما فيه صالح أبنائهم وبناتهم، وبينوا أن البركة منوطة بالتيسير في أمر الصداق كما قال ﷺ "أخف النساء صداقاً أعظمهن بركة"[2]. الحديث

---

(1) الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية بتصرف ص ٢٧٦.

(٢) الحديث رواه الطبراني في الأوسط

فهذا أحمد إبراهيم الغزاوي[١] ينفث زفرات الحنق والغيظ في وجه كل أبٍ يغالي في مهور بناته، ناسياً أو متناسياً ما أوصى به رسولنا الكريم ﷺ من التيسير وعدم المغالاة في المهور، وأكد على أن يكون تقي الزوج وأمانته محط نظر الآباء ومطمح أنفسهم، له السهم المعلى في الاختيار، ويستبعد السلامة لأمة تغالي في مهور بناتها وتسلك غير سبيل الصالحين. يقول[٢]

كيف السلامة تبتغى في أمة ... ما همها إلا الثراء الفاحِشِ
كلُ وراء خداعه متربصَ ... وعلى الدراهم كالذئاب يحارش
أما الديانة والأمانة والتُقى ... فالسهم منها حين يُطلق طائِش

والبيت الأخير يشير إلى ضرورة أن تكون هذه الفضائل الدينية على رأس الأولويات في الاختيار وقد عكست لفظة "متربص " في البيت الثاني هذا الحرص المشين من جانب الآباء, كما أن تشبيه هذه الفئة الجشعة من الآباء بالذئاب التي عرفت بالختل والمكر له دلالته النفسية من جانب الناقد أيضا, ولا يغيب عن ذهن القارئ ما للاستفهام الإنكاري التعجبي في البيت الأول من دلالة على الرفض المحقق أيضا لهذا المسلك

ويرفع عبد الله الحُميد عقيرته على الآباء معبراً عن شدة ألمه وعظيم حسرته على هؤلاء الشباب الطامحين في الزواج والعفاف، بيد أن جشع الآباء وشدة طمعهم يحول بينهم وبين ما يشتهون، كما يُبيّن عاقبة العنوسة على كل من الشاب والفتاة، فيتوجه بلهجة حادة إلى الآباء مناشداً إياهم بأن تكون مصلحة الأبناء والبنات هي غاية المطالب وفوق كل اعتبار، فيستهل قصيدته بهذا الاستفهام الإنكاري التوبيخي قائلاً[٣].

أللقفر صارت تستزاد مهور ... أم الربح في طول الفتاة وفيرُ؟

(١) شاعر سعودي ت١٤٠١هـ ولد بمكة عمل رئيساً لديوان رئاسة القضاء بمكة، نشر له من الآثار الشعرية والأدبية الكثير، قام برحلات عديدة خارج المملكة، حاز رتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى عام ١٣٧٣هـ انظر شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب صـ٢١٨.

(٢) انظر شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب– عبد الكريم بن حمد بن إبراهيم الحقبل الثانية ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م صـ٢١٨.

(٣) عبد الله سالم الحُميد– ديوان (أمل جريح) وزارة المعارف– مطابع النصر الرياض ١٤٠٠هـ، الثانية صـ٦١ .ولد بالرياض ١٣٧١ نال ليسانس الشريعة من كلية الشريعة بالرياض، من مؤلفاته ديوان (أمل جريح) وديوان (لقاء لم يتم – شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب عبد الكريم الحقيل ط الثانية ١٩٩٣م جـ١ صـ٧٦.

ومن لشباب يطلب الستر تائها ... على هامش الشوق البرئ يسيرُ
ألا أيها الآباء والخطب فادح ... أما هزكم نحو الشباب شعور
ألا تقبلون الشهم صهراً مناسبا ... وترضون فيه الدين فهو غيور
لتسعوا لحفظ العرض من غير مطمع ... فذاك على جل الشباب عسير
ولا تجعلوا عرض الفتاة كسلعة ... يزيد بها التجار وهي تمور
فتمضي على العذارى سِنِون مريرة ... بها تعنس الأبكار ثم تبور
فكم من فتى يرعى النجوم مسهداً ... وكم من فؤاد بات وهو كسيرُ
وكم من كاعبٍ في بوتق البؤس أيمت ... فأذبل فيها الحسن وهو نضير
وذاك لأن المهر زيد ولم يزل ... يزوده الآباء وهو كثير

فالشاعر يضع الحقيقة عارية أمام الآباء، ويكشف عن مكمن الداء فيهم، وهو هذا الطمع في المادة على حساب فلذات الأكباد، وقد حاول أن يُحيي فيهم قيم الدين، ومطلب الإسلام في الاختيار، حتى يسهموا في عفة الشباب والفتيان.

والقصيدة تزخر بخصائص الأسلوب التمثيلي الذي تظهر فيه الانفعالات النفسانية، وتُكْثرُ فيه حركات العواطف بصورة ملحوظة ومظهر ذلك سيادة الأسلوب الإنشائي بما يحويه من استفهام وأمر ونهي وتعجب وترديد النداءات، وهذا يصور ما انتهى إليه أمر ضجر الشاعر وبؤسه، ونشم من الاستفهام في الأبيات رائحة الجدل المحتدم.

واللفظ في الصورة – كما رأينا – لفظاً خطابياً ومن خصائصه احتوائه على طنين وجلبة وضوضاء، فالكلمات نقلتْ مشاعر الشاعر في جهر وحماسة وكأنّهُ خطيبَ منبر.

ونلاحظ أن الأبيات تكتنفها عاطفة قوية، أثارها باعث الرحمة والشفقة على هؤلاء الشباب الراغبين في الزواج، الطامحين في العفة والستر.

وقد ضج الشباب هو الآخر بالشكوى، شكوى من هذا الارتفاع المبالغ فيه في مهور الفتيات، مما حدا بأحدهم أن يطلب من أحد شعرائهم أن يتحدث مع شيوخ القبائل ليصلوا إلى تسعيرة للزواج وتحديد المهر، حتى يقف الشاب على مطلب الآباء ويعرف ماله وما عليه قبل الإقدام على الزواج.

فهذا الشاعر محمد جدع يُعلن رأيه في تسعيرة الزواج، مبيناً أن لا قطع للحكم

الشرعي فيها، وإنما يُمكن أن يكون ذلك بتراضي العقلاء في المجتمع وتوجيههم، والدعوة إلى التنافس ليكون في ذلك صلاح بناتهم وأبنائهم. فيقول(١).

أتاني حائراً يوماً بأمرٍ ... يطالبني بتسعير الزواج
وقال الناس قد شطّوا وجاروا ... بتضخيم المهور على ازدواج
فقلت طبيعة الإنسان تغلو ... لتضمن حظها عند الزواج
فقال أليس في الأحكام حكم ... يحدد في المهور بلا لجاج
وينقذنا من الإرهاق حتى ... نذوق العيش في غير انزعاج
فنأتي للبيوت وقد عرفنا ... بقائمة تكاليف الزواج
فقلتُ له وقد أبدى بياناً ... ضعيفاً في المحجة والعلاج
إذا حددت للحاجات سعرا ... رخيصاً لا يضر مع احتياج
فطالب حينذاك بكل عزم ... بتسعير الزواج على المزاج

فهذه القصة تصور إلى أي حدٍ أصبح غلاء المهور عائقاً في طريق الشباب، وأرى أن الشاعر لم يكن صادق الدعوة إلى التيسير في المهور، فقد أخذ يحوم حول الحمى، وكأنه يخشى عاقبة تصريحه ودعوته الجريئة إلى التيسير، وإن كان حواره مع الشاب قد خفف من وطأة الأسى وشدة الموجدة التي يشعر بها.

ولا يأنف الشعراء أن يصوروا شعور الأنثى تجاه هذا الموقف المشين من الآباء، وتصريحها بالضجر، والرفض والشكوى منهم علي الفيفي,

فيقول مصورا غلاء المهور وموقف الفتاة العاجز عن تغيير هذه الأعراف المقيتة في قصيدته" فتاة اليوم"(٢):-

فتاة اليوم قالت ضاق صدري ... وفكري شارد والدمع يجري
أحسّ بأنني قد عشتُ عمري ... ببيتٍ ضيق وأنا بقصرِ
وأشعر أن هذي الدار أضحت ... تضيق كما يضيق اليوم صدري
وانظر للحديقة وهي روضُ ... ولكني أراها شبه قفر
ولي أهلُ وليس لهم قلوبُ ... تحس بما أحسُ به وتدري
إذا ما جاءهم كفء كريم ... ليخطبني فهم يغلون مهري

(١) المجموعة الشعرية الكاملة– الأولى ١٤٠٤هـ نادي جدة الأدبي ص ٧٣٠ وما بعدها.

٢() ديوان شذى الأزهار – الثانية ١٤٢٨هـ الطائف ص ١١٢، ١١٣.

يســاومه أبــي فــي المهــر جهــلاً وهــذا الجهــل بالآبــاء يــذري
يطالبــه بمهــرٍ لــيس يــدري أيجمــع بعضــه فــي ألــف شــهرِ
فأخفيــت امتعاضــي فــي فــؤادي وكــدتُ أمــوت مــن كبــتِ وقهــرِ
.....

والقصيدة عبارة عن زفرات حارة وآهات مسموعة تبوح بها الفتاة معبرة عن موقفها الرافض لهذا المسلك المشين, وقد دلت الصياغة التعبيرية في القصيدة والتي واءم الشاعر خلالها بين الفكرة والألفاظ على قدرة الشاعر في صوغ معانيه , فضيق الصدر, وشرود الفكر, وجريان الدمع, وتغير معالم الأشياء في نظرها من حولها رغم ثباتها كل ذلك يوحي باضطراب النفس الذي كان من أسبابه حرمانها من رغائبها وميولها

وله قصيدة في موضع آخر من الديوان عنون لها بـ "على لسان عانس فليرجع إليها من أراد [1]:

وأخرى لا ترعوي عن وضع الأهل جميعهم في قفص الاتهام فتقول معبرة عن شقائها وتعاستها شاكية حالها[2].

أيرضــيكَ بــالله هــذا العــذاب تعانيــه أنثــى بفعــل الشــباب
فعشــرون عامــا مضــت لــم أذق لتلطيــف شــوقي غيــر الســراب
ولــم يــك ذاك لــنقص الجمــال ولا لغريــب الســلوك يعــاب
ســوى أن أهلــي قــد ســاوموا بحُســني حتــى تلاشــى اختطــاب

وتعكس كلمة "تعانيه" في البيت الأول الحالة النفسية السيئة التي تعيشها فتاة في سن الزواج

ويتولد عند ثالثةً حقداً دفيناً على أبيها وأخيها لما يعيشان فيه من حياة هانئة موفورة في ظل حياة زوجية مستقرة حالية، فيأوي كل منهما إلى فراشه الوثير،

(١) أنظر ديوان شذى الأزهار الرياض ط الثانية ١٤٢٨هـ صـ٢٦: ٢٨ قصيدة– العذراء المظلومة.
هو علي حسين الفيفي ولد في (جبل فيفا) ونشأ به، عمل في الجيش العربي السعودي إلى أن تقاعد وهو برتبة نقيب، من مؤلفاته (مع أصداء الذكريات وديوان (أجراس) و (رحلة العمر) انظر شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب عبد الكريم الحقيل صـ٢٣٤.
(٢) إبراهيم خليل العلاف– الديوان صـ٢٩٧.

وتظل هي فريسة السهاد كسيفة البال، تردد الآهات في دياجر الظلمات فيقول عبد الله الشبانة[1] على لسان عانس في غير حياء أو تبلُّت:

نهدي يسائلني لمن أنا أكبر ؟ وتقول لي عيني لمن أنا أنظرُ
والخد يسألني خلقتُ لمن ؟ فلا أدري الجواب وليس لي من يخبر
وشفاهيَّ الظمأى تقول بلهفة حتى متى سيظل فوقي السُّكرُ
ويظل جسمي حائراً في حائرٍ أوكل أترابي كذاك تحيروا
أأعيش في التيه الذي لا ينتهي ؟ أو أنني ممن أعَلّمُ أصغَرُ ؟
أنا لا أريد سوى الزواج فمنيتي بيت سعيد بالهناءة يعمرُ
أبني به للحب صرحاً عاليا وأظل في أفيائه أتبختر
حتام تمضي بي الحياة وحيدة؟ والقلب مني بالكآبة يُعصرُ
لا أستطيع العيش رغم هنائه والكل من حولي ينام وأسهر
أملي تحطمه قساوة والدي وهواي يقتله أخي المتجبرُ
وهما يعيشان الحياة مباهجا لا تنتهي ولذائذاً لا تحصرُ
وكلاهما يأوى إلى امرأة له فيكاد من شوق لها يتعثرُ
والحب بينهما حلال إنما هو للتي لا تشتكي متعذرُ
حتام يا أبتي أظل حبيسة وعليَّ دونكم السعادة تحظر
وأنا مثيلتكم أحس بما به غيري يحس ومثله أنا أشعرُ
فإلام تحرمني اجتناء لذائذي في ظل زوج للعفيفة يَستُرُ
وإلام تتركني أسيرة وحدتي نهباً لأحلام عليَّ تسيطرُ
فاغنم شبابي اليوم قبل رحيله فغداً عليَّ إذا ذوي تتحسرُ

فالعانس تصور لواعجها عن طريق هذا المونولوج الداخلي، والتي تسفر خلاله عن هذا التفاوت في الحظوظ، وهذا الظلم الواقع على كاهلها من قبل أبيها وأخيها والقصيدة تزخر بخصائص الأسلوب الإنشائي من تكرار الاستفهامات والنداءت

(١) ديوان الزفرات الحري صـ٢١٥، هو عبد الله بن محمد الشبانة شاعر سعودي ولد بالمدينة عام ١٣٦٧هـ، عمل مديراً لمراكز الدعوة خارج المملكة، فأمينا عاما مساعدا لهيئة كبار العلماء من مؤلفاته ديوان الزفرات الحري انظر شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب الثانية صـ١٣٥.

والأوامر والنواهي – وكما قلنا– إن القصيدة تفتقد كثيراً من التحفظ والحياء في القول.

وكما نلاحظ أن الشاعر قدم الفتاة شاعرة، تُعبر عن حالها وحلمها وحيرتها تعبيراً شعرياً، إنها عين الشاعر على نفسها، فالشاعرية هي القاسم المشترك بين شخوص القصة الشعرية، فمبدع القصة شاعر ولهذا يقدم الأشخاص والأحداث من خلال رؤية شاعر، كما يقدمها من خلال تشكيل وأداء شعري.

وتصور سلطانة السديري مشاعر الفتاة العانس وحالة الترقب الواهم والانتظار فتقول في رباعية لها:–[1].

إنـــي أرى؟ وهـــم الســـراب أم أن ذاك الـــــــــــنجم لاح
مـــاذا جـــرى .. الشـــمع ذاب طـــال انتظـــاري يـــا صـــباح ؟؟
مـــاذا بســـمعي قـــرع بـــاب؟ أم يـــا تُـــرى صـــوت الريـــاح؟
حلـــم ... ووهـــم ... وارتقـــاب والنـــزف نزفـــك يـــا جـــراح

وقد استعانت الشاعرة بعدة وسائل من شأنها أن تنقل الصورة إلى المتلقي بكل شفافية وواقعية من الحركة والصوت –وهذا الاستفهام المجازي الذي قُصد به التمني، ولا يخفى علينا خطاب ما لا يعقل وما يعكسه من شدة الحيرة والوله التي تنتاب الفتاة وذلك في خطابها الصباح.

وكما سبق أن قلنا –إن الوظيفة وراتب الفتاة– سهم نافذ وحجر عثرة في درب الفتاة التي تنشد العفاف والستر، فهذا عبد الغني[2] التميمي يُعبر عن جوى الوجد بمدادٍ من دم وعن شعور الأنثى حين تُحرم من رغائبها وغرائزها، فتراها وقد صارت كالمَوتور الذي يسعى للثأر من القاتل فهي ناقمة على الشهادة والوظيفة، ناقمة على الوالدين، ناقمة على المجتمع بأسره، فنجدها تُحمِّل الجميع مسؤولية الحرمان من غرائزها وأحلامها.

فيقول في قصيدته "على لسان عانس" في أسلوب قصصي محبوك[3].

(١) سلطانة السديري. شاعرة وأديبة من رائدات الحركة النسائية في المملكة، تعد أول من أنشأت صالوناً أدبياً بالمملكة، وهي أول من أصدر ديوان شعر نسائي في منطقة الخليج، ومما صدر لها من الدواوين ديوان عبير الصحراء وسحابة بلا مطر، على مشارف القلب ١٤١٥هـ

(٢) عبد الغني أحمد التميمي شاعر فلسطيني ولد ١٣٦٨هـ برام الله، عمل أستاذا مساعداً بجامعة أم القرى، ثم جامعة المقدس بفلسطين، ثم عضواً برابطة الأدب الإسلامي العالمية انظر موقع فخاخ الكلام، الموسوعة العالمية للشعر العربي.

(٣) المجلة العربية عدد صفر ١٤١٤هـ صـ١٣، ١٤.آثرت الإتيان بهذه القصيدة لكون الشاعر– وأن كان فلسطينيا–

أنا لو عرفتم قصتي وتجاربي ... لرحمتم حالي لهول نوائبي
تاهت خطاي على دروب عواطفي ... وتحطمت للعاتيات قواربي
وذبلتُ مثل الأقحوانة جففت ... أوراقها لفحات قيظ لاهب
هذي الوسادة لو تكلمت اشتكت ... سهري لهمس لواعجي ورغائبي
أنا عانس يا ويلها من لفظة ... نعبت بها لغة الزمان الناعب
ماذا أقول؟ ومن ألوم؟ وإنني ... لأرى أحق الناس أن يُشكى أبي
أكذا تكفن يا أبي أمنيتي ... بيد الحنان وتستميت رغائبي
أولست بضعتك التي خبأتها ... من غيرة حذر الدخيل الناهب
أماه ما طعم الأمومة شاقني ... فسألت عنه معارفي وصواحبي
يا أهليَّ الكرماء تلك وظيفتي ... فلتهنكم رتبي ... وجمع رواتبي
هذي الشهادة شاهد لتعاستي ... ومتررجم لمضللات مواهبي
أنا لا ألوم الأبعدين وإن يكن ... للكل دور في اصطناع مصائبي
جففتم الأمل الذي روّيته ... بصبابتي وكآبتي، وسحائبي
ودفنتم أنس الأمومة في دمي ... وقبرتم الأحلام بين ترائبي
ذهب القطار ولم أزل مشدوهة ... فوق الرصيف، وقد حزمت حقائبي
ما زال يحملني هواي لعالم ... تلهو به الأطفال عبر ملاعبي
ويجيء طفلي بينهم فأضمه ... فيقول لي "ماما بلهجة طالب
أماه كيف تركتني لنوازعي ... وتركت أيامي يقمن نوادبي
زحفت إليَّ الأربعون كأنها ... جيش الظلام يحيطني بكتائب[1]
وتمددت شمطات شيب شائه ... فأميطها بلفائفي وعصائبي
أيظل لي أمل وقد رحل الصبا ... متوكئا خلف الشباب الذاهب
لكأن أيام الصبا وسنينه ... كانت مشاهد طيف حلم كاذب
أما وإسداء النصيحة واجب ... فأنا سأسديها لكل صواحبي
وصناعة الأحلام محض خديعة ... وضريبة الأوهام رد الخاطب

وكأني بهذه القصيدة وقد نظمتها أنثي لما تحمل الكثير من المشاعر والأحاسيس وخلجات النفس التي تنتاب الأنثى، فالأنثى مجبولة على غرائز كثيرة وحرمانها من عيش حياتها الطبيعية التي فطرها الله عليها تجنٍ على مشاعرها وعلى عمرها وعلى حياتها بعامة، والقصة بما تحمل من بثٍ وحُزنٍ تصور واقعاً

قد وقف على كثير من أحوال أهلها وسبر أغوار نسائها وقف على كثير من القضايا التى تؤرقهن لطول إقامته بالمملكة

(١) لو قال جيش العدو لكان أجود.

اجتماعياً بئيساً، وقد ساعد في بلورة الصورة وإيضاحها ما استعان به الشاعر من صورٍ بيانية ووشيٍ بديعي يعكس قدر المأساة، فنجد الاستعارة المكنية يكتنفها البيت الخامس

أنا عانس يا ويلها من لفظة نعبت بها لغة الزمان الناعب

والبيت الحادي والعشرين

أيظل لي أمل وقد رحل الصبا متوكئاً خلف الشباب الذاهب

وكذلك الكناية في قوله:

ذهب القطار ولم أزل مشدوهة فوق الرصيف، وقد حزمتُ حقائبي

ونلحظ روح الاستقصاء والتتبع للصورة الشعرية ووفاء الشاعر بالمعنى الذي قصد إيضاحه.

وقد أنطقت المأساة الشاعر بالحكمة التي انبثقت عن تجربة حقيقية –وإن لم يكن عاناها بنفسه – والتي تمثلت في البيت الأخير.

وصناعة الأحلام محض خديعة وضريبة الأوهام رد الخاطب

ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى كثرة حديث الشعراء بلسان العوانس، وتصوير مشاعر الأنثى بواقعية تامة، وكأنها هي التي تبث حزنها وتصور مأساتها وتشكو حرمانها، وكأنها هي التي تنظم تجربتها حتى ظننتُ أن هذا النتاج نتاج أديبات وليس نتاج أدباء لما يحمله من دقة الوصف وصدق المشاعر وروعة التصوير وحرارة العاطفة ولواعج الأسى فهل مرد ذلك إلى تشبع الأدباء بالفكرة، وسيطرتها على جميع حواسهم ومشاعرهم، حتى أصبحت كأن التجربة تجربتهم والقضية قضيتهم، أم أن في بيئة كل أديب عانس تبث إليه وتفضي له بما تحمله من قلق وأسى؟ أم أن هذا الشعر نتاج أديبات سعوديات اجتوين بلظى العنوسة وأسندن أعمالهن لأدباء خشية الملامة والمذمة، وتمشياً مع العرف السائد في المجتمع السعودي من وجوب تحفظ المرأة وشدة خفرها وحيائها.؟ كل ذلك محتمل الصحة فإننا وجدنا عدد من الأديبات السعوديات نشرن جميع نتاجهن تحت اسم مستعار منهن الأديبة والقاصة سميرة خشافجي فكل نتاجها منشور باسم سميرة بنت

الجزيرة[١].وكذلك الشاعرة غادة الصحراء[٢].ولعل كثرة الحديث بلسان العانس من قبل الشعراء إيثاراً للسلامة من أولياء الأمور خشية الهجوم عليهم ولومهم إذا ما توجهوا إلي الآباء بالتوبيخ والتعنيف واللوم المباشر.

ويتوجه بعض الشعراء إلى الفتاة المقرّح فؤادها مخففا عنها بعض ما تجد ناصحا بصدق التوجه إلى الله و شكوى همومها ولواعجها إليه سبحانه فهو وحده كاشف الضر كما يتوجه إلى الآباء مرشدا ومؤكدا أن الدين اعتقاد وسلوك، وليس فرائض يؤديها العبد بحواسه دون أن يطبق ما يأمر به الله عز وجل ، فيقول رامزاً باسم "ليلى" لكل فتاة سعودية[٣].

إنـي أرى الأشـواق فـي عينيـك ... يـا شـبه الحمامـة
وأرى الأسـى والحـزن كـالإ ... عصـار خلـف الابتسـامة
لا تحسـبي أن الهـوى ... يخفـى ولـيس لـه علامـة
وحـرارة الأشـواق نـارُ ... فـي القلـوب المسـتهامة
اشـكي سـهادك للمسـهد ... فهـو يوليـك اهتمامـه
ويحـس أن أبـاك لا ... يخشـى العقـاب ولا الملامـة
إن جـاءه الكـفءُ الكـريم ... يـود لـو يثنـي عظامـه
ولـو انـه أدى الأمـا ... نـة مثـل مـا أدى صـيامه
وصـلاته والحـج إن ا ... لـدين ديـن الاسـتقامة
أو ضـمد القلـب الـذي ... يهـوى وأعطـاه اهتمامـه
مـا كـان أنّبـه الضـمير ... ولا تعـرض للندامـة
فمتـى يعـود إلـى الصـوا ... ب وهـل سـيجنح للسـلامة
ومتـى تعـود إليـك يـا ... لـيلاي تلـك الابتسـامة

ونلاحظ دلالة التشبيه في البيت الأول وموقف الفتاة المسالم والمتمثل في عدم

(١) انظر مقال الأديبة زينب حفني عن بدايات الرواية النسائية في السعودية على يد سميرة خشافجي جوجل السعودية –موقع. www.zhquthor.com\na

(٢) يقول د بكري شيخ أمين عند ترجمته لها "غادة الصحراء اسم رمزي لفتاة يبدو أنها من الأسر الرفيعة أصدرت في بيروت ديوانين هما شميم العرار و عيناك طبعا في بيروت.

٣() علي الفيفي. ديوان شذى الأزهار ص ١١٩، ١٢٠.

التذمر أو الاعتراض على هذا السلك المشين من الأب رغم ما تعيشه من أسى مضن وحزن عميق وهذا ما عكسه التشبيه في البيت الثاني كما أن الكناية في البيت السابع كان لها دلالتها في هذه المغالاة في المهور والمبالغة فيها

ومما يُسهم بشكل واضح في قضية العنوسة بالنسبة للشاب والفتاة على السواء،الفقر وخاصة فقر الخاطب فيجد راغب الزواج الفقير أنه غير مرغوب فيه ، فيتقدم به السن وهو على حاله من حياة العزوبية، لعلمه أنه لو تقدم وهو ينشد العفاف وينشد أن يجد من يرضى بفقره وضيق ذات يده سيجد الأبواب موصدة والدروب مجاهيل.

ويصور الشاعر إبراهيم العلاف[1] بأسلوب قصصي واقعي هذا المسلك غير السوي من الأهل، ومشاعر الفتاة حين يأتيها المكافح المثابر ويرفضه الوالد لفقره، ويُبين أن هذا المسلك من الآباء نذير شؤم وبوار، إذ أنه بذلك يفتح بابا للعنوسة وأبوابا للفتنة والشر يقول[2].

بين بنتٍ وأبيها ... وشريك يبتغيها
قد تمنت في صِباها ... فارساً عَزَّ شبيها
وانقضي عام فعام ... تهضم الصبر الكريها
شعرت يوما بهمسٍ ... عن خطيب يصطفيها
وبلطف ميزته ... جالساً جنب أخيها
وازنته كيَّفته ... آنست فيه وجيها
جلست أولى وولت ... وعسى الأخرى تليها
وانبرى ساري التحري ... ناشدًا دخلا وفيرا
يضمن الترفيه جما ... يجعل الفخر قريرا
وإذا عقباه دلت ... أنه شابّ فقيرا[3]
ليس ما يملك إلا ... جهده يحيا أجيرا
إرثه غر السجايا ... بالهدي أزكى ضميرا
وعصامي هُمام ... يحصد الجد مريرا
عاد لكن دون بُشرى ... فغدا الحزن سميرا
كان سخفاً من ذويها ... أن يردوا مستنيرا

(١) إبراهيم خليل العلاف ولد بمكة ١٣٥٠هـ نال شهادة الليسانس بكلية دار العلوم بالقاهرة –صدر له دواوين: وهج الشباب، أشوق وآهات والإنسان جلنار توفي ١٤١١هـ أنظر :- شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب جـ٢ صـ٢٠٩.

(٢) المجموعة الكاملة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، مطابع الصفا مكة المكرمة صـ١٧٢.

(٣) المعنى مضطرب

أعنســـــت عســـــفاً وضـــــاعت وغـــــدا الوضـــــع خطيـــــرا

وها هو الشاعر محمد سعيد الحنيزي يصور إلى أي حدٍ أولع الآباء بالغنى، وأصبح مجال المفاضلة بين المتقدمين لخطبة بناتهم ما يملك الخاطب من ثروة وما يحوز من مزارع فله قصيدة طويلة يصور فيها بأسلوب فكه ساخر هذا المسلك: [1] فالشعراء قد عرضوا لما يجري على الساحة، وما يحدث على أرض الواقع من هموم الطبقة الفقيرة، وهموم الشباب المكافح وموقف ولي أمر الفتاة ومسلكه المشين تجاه هؤلاء الشباب.

وتظل الفتاة تقاسي الحرمان وتسلط الأب حتى ينزوي نورها ويقل طلابها وتقاسي الوحدة بعد موت وليها.

ومما يُسهم بشكل واضح في العنوسة بالنسبة للشاب والفتاة على السواء أيضا، المبالغة في حفلات الزواج ووليمة العُرْس وكذلك المبالغة في تأسيس بيت الزوجية، مما يثقل كاهل الشاب، ويجد راغب الزواج وخاصة الفقير نفسه عاجزة عن تحصيل المال الذي يفي بتلك المتطلبات،

فيصور عبد السلام حافظ حفلات[2] الزواج وما عليها من إسراف بأسلوب فكه ساخر فيقول في قصيدته" مأتم في عُرسَ" [3].

أقيموا لنا فرحاً زاهرا

أقيموا بالزينة الواسعة

فنحن هنا ذو يسارٍ

كبار كبار

وآخر يقف مبهوتاً حزيناً حين تأتيه البطاقة "وهي في عرفنا الفاتورة" التي تتضمن تكاليف ليلة العُرس بداية من الصالونات التي تزين العروس وأهلها , ومرورًا بصالة الاحتفالات وانتهاءً بوليمة العرس فيأخذ الشاعر البطاقة بيده

١() انظر حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر د. عثمان الصالح – الصويدح ص ٢ ط. الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م نقلاً عن ديوان النظم الجريح – مسعد الحنيزي ص ٣٨.

(٢) عبد السلام هاشم حافظ ولد بالمدينة ١٣٤٧ تلقى تعليمه في مسقط رأسه– وحفظ القرآن الكريم من مؤلفاته الشعرية :– مذبح الأشواق– والعذراء السجينة– الفجر الراقص حواء العارية و المجموعة الشعرية الكاملة– أنظر شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب جـ١ صـ٥٤

(٣) ديوان الفجر الراقص ص ١٤٤ وانظر لطائف الشعراء، ناصر محمد الحميد دار المعالي، الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٧٨م الرياض ص ٥٠.

ويخاطبها خطاب من يعقل ويعقد حواراً طريفا بينه وبينها فيقول[1].

زاد في الصدر اختناقه ... حين جاءتني البطاقة
سحنه عمت فؤادي ... عندما زاد انغلاقه
جئت لا أهلاً وسهلا ... أنت رمز للإعاقة
وأداة لعنوسٍ ... قائم مر مذاقه
فاشرأب الجيد منها ... وثبة فيها انطلاقه
ما الذي آذاك مني ... حين أظهرت الصفاقة
أحمل الود بكف ... وعلى الأخرى الصداقة
خاب مسعاك إلينا ... حين جاوزت اللياقة
حين جمعت حشوداً ... جاوزت حداً وطاقة
غصت الساحات منهم ... وبيوت الناس ضاقة
فاضطررنا لقصور ... سعرها زاد اصطفاقه
ومن الفندق سعر ... يقصم الظهر انزلاقه
وتجشمنا صعابا ... في متاهات البطاقة
حين أولمنا بألفٍ ... ربما زاد نطاقه
فأتى جمع قليل ... من ضيوف ورفاقة
جامل البعض ولبى ... دعوة ضمن العلاقة
نعمة أمست رُكاما ... في نفايات "الفساقة"
ونساء قد تبارت ... في متاهات الخراقة
كيف يرجي لشباب ... في بدايات انطلاقه
دخله نبع ضئيل ... لا يكافيه اندفاقه
كيف يحيا ثم يثري ... كيف يجتاز الإعاقة
ومتى يجمع مهراً؟ ... ومصاغاً ولحاقه
كيف يحظى بزواج؟ ... يحفظ النسل رواقه
قد هدرنا ثروة العمر ... بأسباب البطاقة
وبقينا في حضيض الفقر ... تقصيراً وفاقه
بيتنا قفر يباب ... لا أثاث ولا رفاقه
و غرقنا بديون ... يقطع الظهر وثاقه
عندما الديان يدنو ... ووفاء الدين شاقه
في غدو وأصيل ... يقرع الباب زلاقة
زاد في تنغيص عيشي ... قاتم مر مذاقه
فزهدنا بعروسٍ ... وتمنينا طلاقه

(١) ديوان هواجس– عبد الرحمن السويداء،الأولى مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م صـ١٢٥.

فالشاعر مال كما نرى إلى التشخيص وإنطاق الجماد, وهذا بلا شك يدل على الحيرة والوله وشدة التخبط جراء هذه المبالغة المغالى فيها في نفقات العرس وبأسلوبٍ ساخر، وقصصٍ مشوق تمتزج فيه الحرقة والأنين بالفكاهة العذبة، و يصور أحمد باعطب كذلك [1] الشاب ليلة زفافه –وهي الليلة الحالمة التي ينتظرها كل شاب– حزينا كئيباً مسهداً لما وقع على كاهله من ديون أثقلته وأقضت مضجعه، حتى أمسى كمن يتقلب على جمر الغضا، وما ذاك إلا لنفقات الزواج المجهدة، فيظل ليلة عُرسه يتجرع الغصص وينفث الزفرات، بجوار عرسه الغارقة في نومها إلى أن تصحو فيلقنها درساً لن تنساه لتكون لمن خلفها آية فيتوعدها بعيشة يسودها التقشف والاقتصاد والكفاف، فإن هي رضيت وإلا فبيت أبيها أولى بها حتى يطهر بالوفاء ديونه كما يقول:
فيقول[2].

باتت تغط وبت رهن شجوني ... أحصى بأنفاس علىَّ ديوني
نامت وطيب العيش ملء جفونها ... والحزن يجرح بالسهاد جفوني
ياليتها تدري ويدري أهلها ... بمصيبتي بعد الزواج وهوني
قد كنتُ أحلم بالزواج حديقة ... غناء من ورد ومن نسرين
يجري بها نبع السعادة سلسلا ... ويظلها ساقي الرضا يسقيني
يا زوجتي إنا ضحية عادة ... نكراء لم تحسم بنصح أمين
يا زوجتي إن الحياة مريرة ... لن تنعمي زمناً لديَّ بلين
سنظل نحزم بالكفاف بطوننا ... نقتات من خبز ومن زيتون
فإذا سئمت العيش في أكنافنا ... فخذي متاعك وارحلي ودعيني
واستمسكي بعرى أبيك وصممي ... حتى يطهر بالوفاء ديوني
كوني لأختك قبل ليل زفافها ... درساً لتنعم بالغد الميمون

(١) أحمد باعطب ولد في مكة المكرمة ١٣٥٥هـ صدر شعره في مجموعات منها الروض الملتهب، قلب على الرصيف، وعيون تعشق السهر، حصل على بكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة الملك سعود بالرياض عام ١٣٨٦هـ. شعراء من الجزيرة العربية/ عبد الله سالم الحميد جـ١ الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م جـ١ صـ٣٨، وانظر شعراء في العصر الحديث في جزيرة العرب – عبد الكريم الحقيل ط. الثانية ١٤٧١٣هـ مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ج ١ ص ٢٥.

(٢) ديوان الروض الملتهب الأولى مطابع الفرزدق الرياض ١٩٨٠م ص ١٨٩ وما بعدها.

ماذا جنيت من الزواج سعادة ... ثكلى بقلب موجع محزون
وملذة مزجت بُمر ندامة ... وسهام إسرافٍ وقبح مجون
البذل في عرس الفتي قبرُ له ... تباً له من مطلق مسجون
الفقر والحرمان عاقبة له ... كالسل كالسرطان كالتدخين

وهكذا ظل الشاعر يُفْضي بما في نفسه من مواجيد، وهموم، كانت التقاليد البالية والعادات العاتية وقوداً جزلاً لها فما حفلة الزواج ونفقاته المجهدة إلا سبيلاً لشل حركة الشباب، وهي الداء العضال الذي لا برء منه، ونجد أن التجربة الحياتية قد أنطقته بالحكمة البليغة، وتصل التجربة قمة نضُوجها عندما يخيّر الشاعر عروسه وحُلم أيامه صبيحة عرسها بين عيشة الكفاف والزهد في المأكل والمشرب وبين الرحيل إلى بيت أبيها حتى يسدد ديونه.

وقد عكس التضاد في البيت قبل الأخير، هذا التعجب المرير من مسلك الناس في الأفراح والمبالغة في الإنفاق.

البذل في عرس الفتي قبرُ له ... تباً له من مطلق مسجون

ومع أن التشبيه في البيت الأخير:-

الفقر والحرمان عاقبة له ... كالسل كالسرطان كالتدخين

استطاع أن ينقل مشاعر الحسرة والألم لدى الشاعر فإنه يفتقد قوة الشبه في المشبه به ، لأنه ليس بالضرورة أن يكون الفقير أو المحروم مهمومًا تعساً أرقاً، وليس ذلك المريض بهذه الأمراض غالبا, كما أن الإضراب في التشبيه ينبغي أن يكون إلى الأقوى وليس ذلك في المشبه به في الصورة أيضا، فقد أضرب الشاعر عن التشبيه بالأمراض الخطيرة وأثرها على الجسد والنفس ثم جاء بشيء –هو في ظني– أقل وقعاً وأخف أثراً من سابقيه وهو التدخين وأحسب أن قيد القافية هو الذي أوقع الشاعر في شرك هذا الملحظ.

ويعلق مسعد العطوي على هذه القصيدة بقوله[1] "فهذه القصيدة نظرات واقعية ليست مشبوبة بعاطفة ذاتية، إنما هي عين راصدة لوقائع اجتماعية متعددة.

ومن الأسباب الجوهرية أيضاً وراء شبح العنوسة، تلك التقاليد البالية التي ورثها الآباء عن أبائهم وأجدادهم.وقد نفذ الشعراء إلى تصوير عواقب تمسك الآباء بتقاليدهم وأعرافهم واضعين أمامهم الحقيقة عارية حتى يعتبروا، فقد يُصرُّ الأب أو

(١) السابق صـ٢٧٤.

ولي أمر الفتاة على تقاليد وعادات موروثة، ويفوت على الفتاة قطار الزواج، ويموت الأب وتموت الأم وتظل الفتاة التي يكون قد تقدم بها السِّن تعاني الوحشة والوحدة والحسرة، ومن تلك التقاليد أن البنت لا ينبغي أن تزوج إلا من شريفٍ كشرف قبيلتها– وقد وقفتُ على ذلك بنفسي فقد أفضت إليّ إحدى ضحايا هذه التقاليد بهذا السبب وقد تجاوز سنها الخمسين دون زواج.

فهذا عبد الرحمن العشماوي يصور قصة شاب مستور الحال تعلق قلبه بفتاةٍ من عشيرةٍ أكبر –قدراً في عرفهم– من عشيرته وما كان ليجرؤ أن يتقدم لخطبتها لعلمه بتمسك أفراد العشيرة بالأعراف والتقاليد المتوارثة، والتي منها أن الفتاة التي عُرف عن عشيرتها شرف الأصل وأرومة المنبت لا تزف إلا إلى مثلها، وتنتظر الفتاة الشريف ولم يأتِ، ويتقدم بها السن ويموت أبواها ويتركانها وحيدة تنُعي حظها و تتجرع الغصص وتنفث الزفرات:

يقول على لسان الفتاة البئيسة على نمط الشعر الحُر(١).

.....

يـــا بـــائع المـــوز المعطـــر بـــالعرق
بينـــي وبينـــك مثـــل مـــا بـــين الســـلامة والغـــرق
بينـــي وبينـــك بـــاب نافـــذة، ومصـــراع كبيـــر
وعيـــــون أم حـــــول نافـــــذتي تـــــدور
وهـــذيم نحنحـــة، يجـــود بهـــا أبـــي عنـــد الحضـــور
لا والـــــذي أعطـــــاك مـــــن عـــــرق الجبـــــين
مـــــــالاً حـــــــلالاً لا يشـــــــين
مـــــا حـــــدثتني الـــــنفس إلا بالصـــــواب
شـــوقي يزعزعنـــي، ويحفظنـــي التـــورع والحجـــاب
خـــوفي مـــن الـــرحمن أكبـــر مـــن جنـــون المغريـــات
لكننـــي أخشـــى الظنـــون، ومـــا يثيـــر الشـــائعات
قـــــالوا: بـــــأن لبيتـــــا شـــــرفاً قـــــديم
وبـــأن مثلـــي لا تـــزف ســـوى إلـــى رجـــل عظـــيم
أهلا وسهلا بالذي قالوا ولكن أين لقمان الحكيم

(١) ديوان حليمة والصوت والصدى وبائع الموز جـ١ العبيكان الرياض الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م ص٤٦، ٤٧.

ومن العجيب أن نجد من بين الأمهات من تشجع غلاء المهور فهي لن تزوج ابنتها إلا لمن يدفع لها صداقًا جما وفيرا وكأن ذلك سبيلاً لسعادة ابنتها فتحاور إحداهن زوجها متحسرة على حالها معه لمستواه المادي المتواضع .قائلة(١).

أنا في زمان لا أبا لك باسم ... أنا نبتة عصرية متحضرة
أمي كأمك من بداوة طبعها ... ألقت بإبنتها لحضنك مجبرة
أنا لن أزوج ابنتي إلا لمن ... عشقت دنانيرُ الحوافِظ متجره
حتى تعطر بالنعيم شبابها ... وتمشى في ثوب الغنى متبخترة
تلهو العقود بجيدها نشوى وفي ... فرح تتيه بمعصميها الأسورة
وصداقها من عسجد وزبرجد ... عشرون قنطاراً تساق مقنطرة
كيلا تذوق من الشقاء كأمها ... كأساً تظلُّ بها السنين مخدرة

وقد أدت المغالاة في المهور وإرهاق الخاطب مادياً إلى دخول عددٍ كثيرٍ من الشباب في حالة اغترابٍ مريرة والتقوقع حول الذات لعدم القدرة على نيل الأوطار، وتحقيق الرغائب فهذا أحمد باعطب يرد على حبيبته التي تنكر عليه تغيره، وكأنه ليس الإنسان الذي عرفته قبل ,قائلا(٢).

لا تسألي من أنتَ إني لستُ أعرف من أكون
أنستنيَّ الأحداث أوصافي وضيعني السنون
لا تعجبي أبداً إذا ما مات في صمتي الجواب
ما عدتُ أدرك في دجى الأوهام منتجع الصواب
إني نقشتُ على الجليد رسوم أحلامي العِذاب
وكتبتُ كل قصائدي شجناً على صدر الضباب
وملأتُ من جهلي دنان الحُب من نبع السراب
وبحثتُ في شغف عن اسمي في سجلات الشباب
فوجدته شلواً تناوشه الخناجر والحراب
وحروفه تدمي وفوق نقاطه شفق اكتئاب

(١) قلبُ على الرصيف. أحمد سالم باعطب صـ١٤٢، ١٤٣.
(٢) ديوان قلب على الرصيف صـ١٠٩.

أنـا مـا كرهـتُ العـيش لكنـي سـئمتُ الاغتـراب
وأبَيْـتُ أن أبقـى طعامـا للصـلال وللـذئاب

والبيتان الثامن والتاسع يصوران إلى أي حدٍ وصل الشاعر إلى نهاية الشوط في طريق الشقاء والبؤس.

والشاعر ناقم على المجتمع بأسره فهم في نظره أراقط وذئبان فقد كانوا سبباً في اكتئابه واغترابه.

وهذا محمد الخنيزي يصرخ هو الآخر شاكياً قائلا(١).

وحيـداً وحيـداً بهـذا الوجـود أعـيش علـى موجـة مـن ضـباب
وألمـح خلـف بـروق المنـى حيـاة تلهـب مثـل الشـباب
حيـاة تنـوء بمـا أثقلـت جفـون لهـا يطـوق الرغـاب
ولكنهـا حلـم (كـاذب) كحلـم الرمـال بمـاء السـحاب
فبـين القنـوط وبـين المنـى أخـذت مكـاني علـى ذي الهضـاب

الزواج من الأجنبية

كما يشكل الزواج من الأجنبية(٢) مشكلة تؤرق المرأة السعودية إذ بدأ يتزايد عدده في السنوات الأخيرة لأسباب عدة لعل على رأسها ارتفاع مهر المرأة السعودية – كما بينا سابقًا والذي يتراوح قدره مابين العشرين والسبعين ألفا, لا يعود منه على الزوج شيء , بينما نجد أن المرأة غير السعودية لا يشكل لها المهر مشكلة أو أزمة كبيرة , فتراها غالبًا ترضى باليسير ، أضف إلى ذلك كثرة متطلبات الفتيات السعوديات فبالإضافة إلى الشقة لابد من حفل زواج مميز , بل وسيارة يمتلكها الزوج – غالبًا– وهذا ما لا يطيقه الشاب في مقتبل حياته، فيميل إلى امرأة أجنبية ترضى به زوجًا على ما هو عليه من مستوى مادي متواضع.

وتكمن مشكلة الزواج من الأجنبية، في ازدياد عدد الزوجات الأجنبيات وبالتالي

(١) انظر شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب/ عبد الكريم الحقيل صـ٨٦.

(٢) لفظ الأجنبية لا تعني المرأة الغربية خاصة، بل تعني المرأة من غير الجنسية السعودية سواء كانت عربية أم أوربية. انظر القانون المدني السعودي والحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية د/بكري شيخ أمين صـ ٢٨٩

ازدياد عدد النساء العوانس بالمملكة، مما يُمثل أزمة تؤرق الكثيرات منهن، مما جعل إدارة الأحوال المدنية بالمملكة تتدخل بشكل فاعل في هذا الشأن وتضع قوانين صارمة وعراقيل معوقة أمام راغب الزواج من غير المواطنة [١].

ونجد أن بعض الأدباء أدان الزواج من الأجنبية ودافع عن بنت جلدته وأخته في الوطنية من منطلق غيرته عليها وقلقه على مصيرها منهم منصور الحازمي فبعد أن هنأ صديقه بزواجه من الخارج تداعى إليه هم من الوطن، وهو مصير فتاة الوطن إذا عزف الشباب عنها واتجهوا إلى الخارج فنجده يقول[٢]:

وحينمـــا غَرِقْـــتَ يـــا صـــديقي
فـــــي موجـــــة الســـــرور
ومعزفـــــي تهيجـــــه اللحـــــون
إذا بوجـــه مـــن عرفنـــا مـــن ســـنين
يطـــل بـــالأحزان ، بالـــدمع الســـخين

فتاتنا:

حبيـــة القلـــوب... أقحوانـــة الـــديار
رفيقـــة الصـــبا وأخـــت الليـــل والنهـــار
رأيتهـــا تغـــص تتقيـــأ الـــذهول
تحرك الشفاة ,فتجمد الحروف في الشفاة
,وتسبل الجفون , كأنها خرساء لا تبين
لكننـــي قـــرأت فـــي عينـــين تـــدمعان
عتباهـــا المريـــر وقصـــة الجـــروح

١) ، منها: –أولا : ألا يكون مبتغي الزواج من الفئات المشمولة بالمنع كالوزراء ومن في حكمهم، ثانيا– أن تكون الموافقة على طلبات الزواج التي تقدم من غير الفئات الواردة في المادة الأولى بإذن من وزير الداخلية أو من يفوضه من جنسيات الدول العربية والإسلامية وللضرورة من الجنسيات الأخرى انظر لائحة زواج السعودي بغير السعودية والعكس قرار وزاري رقم٦٨٤٧ بتاريخ ١٤٢٢/١٢/٢٠هـ موقع الساحات السعودية.

٢() ديوان أشواق وحكايات– منصور الحازمي دار العلوم للطباعة والنشر ,الرياض , الأولى ١٩٨١مـ , ص ٤٩.

منصور إبراهيم الحازمي :– ولد بمكة سنة ١٣٥٤هـ – عضوًا بالمجلس الأعلى لجامعة الملك سعود ، رأس تحرير مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود. من مؤلفاته (الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث) باللغة الإنجليزية، وديوان (أشواق وحكايات) شعر، وفن القصة في الأدب السعودي. حصل على الميدالية الذهبية الكبرى للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٤٠٨هـ .

انظر: شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب عبد ا لكريم بن حمد الحقيل الثانية سنة ١٤٢٣هـ ١٩٩٣م. مطابع الفرزدق التجارية – الرياض ج الأول ص ٥٣.

فنحن يا صديق, نحن للغريب

والأبيات تصور إلى أي حدٍ يكون الانتماء ،وأن هموم الوطن هي هموم الإنسان ذاته، وإن غابت عنه هذه الحقيقة أحيانًا فتخيل أخته في الوطنية محزونة مهمومة مبهوتة لهذه الوجهة غير السوية من أبناء وطنها, ولقد اختار الشاعر نظام التفعيلة ليكون قالبا وإطارا لقصيدته وهذا القالب يبعد بالشاعر_غالب–عن التقرير والخطابية ويقترب به من الهمس الصافي والبوح الرقيق .

ويقدم الشاعر المشعان رباعيته بعنوان " نخلة عوجاء " توجه فيها إلى من يتزوج بأجنبية، ويحاول أن يحي فيه غريزة الغيرة والخوف على مصير فتاة وطنه فيقول(١).

تزوجتها غير معروفة فأنت إذا ما ندمت السبب
وماذا عن العنس الصابرات بأرضك يذبُلنَ يا ابن النسب
وماذا عن الحور عز الجمال تيبس في نخلهن الرطب
أيرضيك أن تتهاوى الصروح وأن تتعالى أيادي اللهب

وممن صوروا المأساة وأثرها على بنت جلدته , عبد الرحمن السويداء (٢):

قضية تعدد الزوجات

تعرض العديد من الشعراء السعوديين لتعدد الزوجات في المملكة من عدة زوايا، واختلفت وجهات النظر في هذه القضية من ناحية تشجيع التعدد من عدمه فقد حذَر البعض من تعدد الزوجات دون داع شرعي، كما حذر من ظلم الأزواج لزوجاتهم ، سواء عن طريق الهجر أو الإعضال و التفريط في حقها حتى تكره عشرته وتطلب الطلاق والانفصال

كما كثر حديث الأزواج المعددين عن زوجاتهم مصورين موقفهم الحرج بين الضرائر وصوروا أنفسهم فريسة بين سبعتين وهو بينهن مبهوت حائر مسلوب الإرادة، مشلول القوى بسبب تلك الغيرة الهوجاء من الضرائر، ومحاولة كل منهن استمالة الزوج لجانبها حتى لو كان على حساب الأخرى.

١() لطائف الشعراء والكتاب ، ناصر الحميدي الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – الرياض.

٢() انظر ديوان لواعج شعر عبد الرحمن بن زيد السويداء الأولى ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م ص ٤٧، ٤٨، مطابع الفرزدق والتجارية– الرياض.

كما تقدموا بالنصائح لمن تعددت في بيئته الزوجات بضرورة مراعاة العدل وعدم الحيف والميل لإحدى الضرتين على حساب الأخرى

ويدافع الكاتب والشاعر أحمد جمال[١] عن تعدد الزوجات بل ويشجع عليه, ويرد على من يعيب إباحة الإسلام للتعدد مبينًا أن تعدد الزوجات "ليس تشريعًا جديدًا سنه الإسلام للناس وإنما جاء الإسلام فوجد التعدد قائمًا بصورة غير إنسانية، فأبقى على جوازه وحدده بأربع ، بعد أن كان أكثر من ذلك، ودون حدود أو قيود كما فرض الإسلام العدل بين الزوجات وحذر من عاقبة الميل إلى إحدى الزوجتين دون الأخرى.

ويبرهن الكاتب على أن التعدد قد يصير ضرورة بشهادة بعض الغربيين، فيستشهد بقول الكاتب الإنجليزي برنارد شو الذي يقول :- "إنه لحكمة عليا كان الرجل أكثر تعرضًا للمخاطر من النساء، فلو أصيب العالم بجائحة أفقدته ثلاثة أرباع الرجال كان لا بد من العمل بشريعة محمد في زواج أربع نساء لرجل واحد ليستعيد ما فقده بذلك بعد فترة وجيزة.

ولعل مما أسهم في ازدياد نسبة التعدد في المملكة، الترف المعيشي وما فتح الله على أهل هذا القطر من زهرة الحياة الدنيا- فقد بسط الله تعالى لأهلها الرزق، وأصبح معظمهم على حالة من الترف المعيشي تدفعهم إلى التلذذ بالطيبات والتمتع بالمباح ومنها تعدد الزوجات, وهذا الترف يعطي فرصة للصحب والأصدقاء أن يلتقوا في جلسات سمر طويلة, وهذا بدوره يفسح المجال للخوض في موضوعات أكثر حساسية كالزواج والطلاق والتعدد وغيرها.

و من الأسباب التي تُسهم أيضا في ازدياد نسبة التعدد في المملكة، ازدياد نسبة النساء الأرامل اللاتي فقدن أزواجهن بسبب كثرة الوفيات الناجمة عن زيادة حالات حوادث المركبات والسيارات[٢].

فهذا أحد شعرائهم , يصور ما عاناه من زوجتيه بعد أن خاض غمار تجربة التعدد, ويرد على من أغروه به من أصدقائه فيقول ناصر الزهراني من قصيدة

---

(١) مكانك تحمدي ص ٧٥، ٧٦.

٢() . فقد أوضح د/ مروان محمد علي زمزمي المدير التنفيذي للشئون الطبية واستشاري جراحة العظام والمفاصل الصناعية- في مدينة سلطان بن عبد العزيز للخدمات الإنسانية:-" أن حوادث السير في المملكة تحصد أرواح الآلاف سنويًا وأن تقريرًا صدر حديثًا لمنظمة الصحة العالمية كشف عن أن المملكة تسجل أعلى نسبة وفيات في حوادث الطرق على المستويين العربي والعالمي صحيفة :- الاقتصادية الإلكترونية الثلاثاء ١٤٣٢/١/٨هـ-١٤ ديسمبر ٢٠١٠ العدد ٦٢٧٣.

طويلة تقترب أبياتها من الستين بيتًا[1].

أتاني بالنصائح بعض ناس ... وقالوا أنت مقدام سياسي
أترضى أن تعيش وأنت شهم ... مع امرأة تقاسي ما تقاسي
إذا حاضت فأنت تحيض معها ... وإن نفست فأنت أخو النفاس
وتقضي الأربعين بشر حالٍ ... كذئب رأسه هشمت بفاس
وإن غضبت عليك تنام فردًا ... ومحرومًا وتُمعن في التناسي
تزوج باثنتين ولا تبالي ... فنحن ألو التجارب والمراسي
فقلت لهم معاذ الله إني ... أخاف من اعتلالي وارتكاسي
لي امرأة وشاب الرأس منها ... فكيف أزيد حظي بانتكاسي
فصاحوا سنة المختار تنسى ... وتمْحى أين أرباب الحماس؟

فقلت أضعتم سننًا عظامًا ... وبعض الواجبات بلا احتراس
لماذا سنة التعداد كنتم ... لها تسعون في عزمٍ وباسِ
وشرع الله في قلبي وروحي ... وسُنة سيدي منها اقتباسي
إذا احتاج الفتى لزواج أخرى ... فذاك له بلا أدنى التباس
فقالوا أنت خواف جبان ... فشبوا النار في قلبي وراسي
فخضت غمار تجربة ضروس ... بها كان افتناني وابتأسي
يحز لهيبها في القلب حزا ... أشد عليَّ من حز المواسي
رأيت عجائبًا ورأيت أمرًا ... غريبًا في الوجود بلا قياس
وقلت أظنني عاشرت جنا ... وأحسب أنني بين الأناسي
لأتفه تافه وأقل أمرًا ... تبادر حربهن بالانبجاس
....
وتبصرني إذا ما احتجت أمرًا ... من الأخرى يكون بالاختلاس
وكم من ليلة أمسي حزينًا ... أنام على السطوح بلا لباس

---

(1) منتدى بني خالد الرسمي قصيدة " زوج الاثنتين" ديوان القصصي والطرائف ومنتديات:– دُمت :–
ناصر الزهراني شاعر سعودي من ظهران الجنوب إحدى مدن منطقة الباحة، حاصل على الدكتوراه من قسم البلاغة والنقد بجامعة أم القرى، له عدة مؤلفات منها قصائد ضاحكة.وديوان دموع أنظر :– منتديات زهران.

وكنـــت أنـــام محترمًـــا عزيـــزًا فصـــرت أنـــام مـــا بـــين البساســـى
أرضـــع نـــامس الجيـــران دمـــي وأســـقي كـــل برغـــوث بكـــاس

أروح لأشـــتري كتبًـــا فأنســـى وأشـــري الزيـــت أو ســـلك النحـــاس
أســـير أدور مـــن حـــي لحـــي كـــأني بعـــض أصـــحاب التكاســـي
ولا أدري عـــن الأيـــام شـــيء ولا كيـــف انتهـــى العـــام الدراســـي
فيـــوم فـــي مخاصـــمة ويـــوم نـــداوي مـــا اجترحنـــا أو نواســـي
ومـــا نفعـــت سياســـة بـــوش يومًـــا ولا مـــا كـــان مـــن هـــيلا سيلاســـي
ومـن حلـم ابـن قـيس أخـذتُ حلمـي ومكـــراً مـــن جحـــا وأبـــي نـــواس
فلمـــا أن عجـــزت وضـــاق صـــدري وبـــــاءت أمنيـــــاتي بالإيـــــاس
دعـــوت بعيشـــة العـــزاب أحلـــى مـــن الأنكـــاد فـــي ظـــل المآســـي
وجـــاء الناصـــحون إلـــيّ أخـــرى وقـــالوا نحـــن أربـــاب المراســـي
ولا تســـــأم ولا تبقـــــى حزينًـــــا فقـــد جئنـــا بحـــل دبلوماســـي
تـــزوج حرمـــة أخـــرى لتحيـــا ســـعيدًا ســـالمًا مـــن كـــل بـــاس
فصـــحت بهـــم لـــئن لـــم تتركـــوني لأنفلـــتن ضـــربا بالمـــداس

والقصيدة من أهم ما يميزها الارتجالية فهي تدخل تحت مسمى الشعر المطبوع فالألفاظ سهلة بعيدة عن التكلف والغموض، بل إنها لتقترب من العامية – أحيانًا – وليس أدل على ذلك من لفظة "المداس" وهي الحذاء أكرمكم الله ولفظة " لخبط" بمعنى المزج والاختلاط. وعدم القدرة على التمييز.
والمعاني تنسال انسيالاً فهي واضحة سهلة ، قريبة المأخذ والخيال من واقع البيئة، خيالاً سطحيا لا عمق فيه مثل قوله:

وتقضـــي الأربعـــين بشـــرّ حـــالٍ كـــدأب رأســـه هشـــمت بفـــاس

وقوله:

وإن معاشـــــر النســـــوان بحـــــرٌ عظـــيم المـــوج لـــيس لـــه مراســـي

وقوله:

أرضـــع نـــامس الجيـــران دمـــي وأســـقي كـــل برغـــوث بكـــاس

وقوله:

وطلقـــت البيـــان مـــع المعـــاني وضـــيعتُ الطبـــاق مـــع الجنـــاس

.

وهو يصور ما يحدث على أرض الواقع بين الضرائر من الغيرة الهوجاء والشكوك والظنون العارية من الصحة وما ينجم عن ذلك من محق الزوج محقا والتحامل عليه.

وتوفرت في القصيدة الكثير من مقومات القصة الشعرية من عنصر الحدث المتنامي وعنصريّ المكان والزمان، والحبكة القصصية، كذلك فإن معجم الشاعر يتكئ على الألفاظ المعبرة وإن كانت – كما سبقت الإشارة– ألفاظًا سهلة تقترب كثيرًا من العامية.

وقد نهض الحوار ، بدور مهم في تنمية الحدث وتغذيه النزعة ، وقد شكلت النهاية نقطة التنوير الأساسية في القصة ، وبلا شك أن القصة تلتقط وقائعها وتفاصيلها من الحياة اليومية .

وأحمد باعطب يقص علينا ما يحدث على أرض الواقع أيضا ، بما يشقى به زوج اثنتين، فقد أغرى– هو الآخر– بالاقتران بأخرى، وما أن انتقلت الثانية إلى منزله، وما هي إلا أيام معدودات، حتى اشتعلت نار الغيرة بين الضرتين، وقد سعى جاهدًا أن يعيش سليمًا بين سليمتين، وفشل في سعيه إذ أنه ما إن يرضى الأولى إلا وتهيج الثانية، وتقلب له رأس المجن ، وترميه بالملق والنفاق والخداع، وتوصد دونه الأبواب ، طالبة منه أن يذهب إلى الأولى، وما أن يذهب إلى الأولى إلا وتنهال عليه بالشتم والسباب، مبينة أنها ليست هي الحائط المائل الذي يأوى إليه إذا ضاقت به الدنيا– ويقف الزوج مبهوتًا كئيبًا حزينًا لما آل إليه حاله و لما فرط في جنب الله وجنب من يجب عليه برهما كالوالدين والأقارب فيصور ذلك بصورة مأساوية تحملنا على التعاطف معه والأسى من أجله فيقول[1]:

---

(1) ديوان عيون تعشق السهر – الأولى ، دار الأصفهاني ص ١٧٢ وما بعدها، وانظر شعراء من الجزيرة العربية، عبد الله سالم الحميد ج ١ ط. الأولى ص ٤٩.

قالوا السعادة أن تعاشر زوجتين ... تقضي الحياة منعمًا وقرير عين
أني اتجهت فهذه من شوقها ... تهوي إليك وتلك باسطة اليدين
في روضة ينساب في جنباتها ... نهر يزف الأمنيات لشاطئين

إن قبلت هند جبينك قبلة ... طبعت بثينة فوق ثغرك قبلتين
وإذا لبست تعلاً ثوب الضنى ... وبثثت كالمصدور أطول زفرتين
ذابت أسى وتوجعا كبداهما ... ورأيت تلك الضرتين حزينتين

كلتاهما للحب تفتح قلبها ... طير يطوف على مفاتن جنتين
فجمعت ما بخلت به نفسي على ... زوجي الحنون من الجواهر واللجين
ودفعته للناصحين لعلني ... أحظى بما يحظى به زوج اثنتين
وتبسمت بالنور ليلة عرسنا ... دوري وفزت على الجميع بفرحتين
شدت لي الأيام عزب لحونها ... سكبت تغاريد الصبا بيني وبين
أمضيت سبعًا في ضيافة متعة ... عذرية الأحلام تحضن مهجتين
ألقت على قلبي غشاوة سحرها ... فهجرت باللذات أم الطفلتين
ورشفت من ثغر الفتون صبابتي ... فنسيت كيف أعيش في الدنيا وأين
وسرى بساط الحب خمري المنى ... يختال في أفق الخيال بطائرين
حتى أثار الرعب فينا ليلة ... صوت يجلجل في حنايا الغرفتين
فصحوت مذعورًا وقلت لمن معي ... هبي قفي كي لا نكون ضحيتين
هذا صراخ حليلتي الأولى فلا ... تهني وكوني في الملامة بين بين
ورأيتها والحقد يصبغ صبرها ... غضبًا ويسفحه الجوى في الوجنتين
قالت وقد جفت منابع صبرها ... وجب القصاص إذًا ورب المسجدين
أحرقت أحلامي وبعت عواطفي ... ونصبتني هدفا لتعذيب وأين؟
قلت: اهدئي فغدا ستورق دارنا ... حسنا يشع سناؤه من نيرين
الحب أنت وفي يديك نعيمه ... ما غبت عن قلبي الجريح دقيقتين
فتنهدت أخراها وتبرمت ... ألقت عليّ من الكراهة نظرتين
ومضت تجر الحزن في أحشائها ... وجفونها تحسو و تلعق دمعتين

فتبعتهـــا متوســـلا أن ترعـــوي عن صدها كـي لا نعذب مضغتين
فتمنعـت حينًـا فلمـا أبصـرت ولهى يصوغ من العذاب قصيدتين
قالت سأرجع إن صدقت وأردفت هل أنت تهواني فقلت كما ترين
ورجعت للأولى فقالت: عُدْ لها هل كنت تحسبنا بدارك نعجتين
ما كنت أومن أن قلبك سلعة في كل حانوت يباع بدرهمين

فوقفت مبهوتًا أتمتم من أنا أصبحت بينكما فريسة رغبتين
علمتماني كيف أضحك كاذبًا وأقدم الأعذار في بله ومين
وسعيتُ مفتونًا أروم رضاكما وأضعت بينكما حقوق الوالدين
وحملت من أجل الوصول إليكما ديْنا ينوء به الفؤاد وأي ديْن
يا زوجتيّ حزمت كل حقائبي ورحلتُ لن أبقى ضحية ضرتين
في ظل واحدة تجرعت الأسى وشربت كأس الموت في ظل اثنتين

وبلا شك أن هذه القصيدة أهم ما يميزها الصدق في التصوير، والواقعية والشفافية التي قد تؤدي إلى البوح بأشياء قد تقلل – في نظر البعض– من مروءة الرجل وتحط من قدر العربي.
والقصيدة مع كونها تصور تجربة شعرية خاصة فهي تعبر بشفافية عن كيد النساء، وغيرتهن الممقوتة وحيرة ذي اللب بينهن.
والشاعر قد استوفى كل المعاني التي تقتضيها الصورة فالقصيدة تسري فيها روح الوحدة الموضوعية ، كما تتميز بروح الاستقصاء والتتبع بحيث لا يبقى الشاعر– في تناوله لهذا المعنى– لغيره بقية " ويسرى في كل جزئية من جزئيات الصورة شعور الشاعر في تدفق وقوة وحيوية ، فكل كلمة تنبض بأحاسيسه ومشاعره والصورة في القصيدة مطابقة تمامًا للتجربة التي مرّ بها الشاعر ملائمة لإبداء مشاعره وأحاسيسه وخواطره الوجدانية .
وقد استعان الشاعر بطرق عدة أسهمت في بلورة الصورة منها المحسنات البديعية, وإيثاره لإيحاء الكلمات أحيانًا– والتخيل والتجسيم والتشخيص أحيانا ليصل إلى مضمون الصورة لا بالعقل وحده كما نجد ذلك في النمط التجريدي فعن طريق المحسات نجد السمع في قول الشاعر:
حتـــى أثـــار الرعـــب فينـــا ليلـــة صوت يجلجل في حنايا الغرفتين

فصحوت مذعورًا وقلت لمن معي هبي قفي كي لا نكون ضحيتين
هذا صراخ حليلتي الأولى فلا تهني وكوني في الملامة بين بين

وعن طريق البصر نجد قوله :
و رأيتها والحقد يصبغ وجهها غضبًا ويسفحه الجوى في الوجنتين

وقوله:
فتنهدت أخراهما وتبرمت ألقت عليّ من الكراهة نظرتين
.

واللون في قوله :-
في روضة ينساب في جنباتها نهر يزف الأمنيات لشاطئين
في أفقها الأطياف باسمة الرؤى والورد يسكب لونه في مبسمين

وتبسمت بالنور ليلة عرسنا دوري وفزت على الجميع بفرحتين

واللمس في بيته:-
إن قبلت هندٌ جبينك قبلة طبعت بثينة فوق ثغرك قبلتين
.

والتذوق:
ورشفت من ثغر الفتون صبابتي فنسيت كيف أعيش في الدنيا وأين

والشاعر قد راوح في قصته بين الوصف والحوار، فقد وصف تلك الأيام الحالية التي أمضاها- كما يقول- في ضيافة متعة عذرية الأحلام تحض مهجتين ثم وصف مباغتة زوجته الأولى لهما وهي على حالة من الغضب الشديد بدا ذلك من صوتها المدوي في ثنايا الغرفتين.
كما وصف موقفه الحرج بين الضرتين في قوله:

فوقفت مبهوتا أتمتم من أنا أصبحت بينكما فريسة رغبتين

أما الحوار في القصيدة فقد كان له دور في خلق جو من الواقعية، وهو صدى صادق وصورة معبرة عن نفوس قائليه.

ولقد كان للمعجم الشعري الذي استخدمه الشاعر دور في تجسيد الموقف وبلورة الصورة ووضوح الغرض ففي موقف تصوير الإغراء والترغيب من قبل أصدقائه بالتعدد نجدا لألفاظ :–السعادة–منعما– قرير عين –تهوى إليك – باسطة اليدين – إن قبلت–مفاتن– جنتين– وفي تصوير سعادته بعد أن جمع الله شمله بالثانية نجد الكلمات التي تعكس الفرح والسعادة تفرض نفسها على العمل الشعري من ذلك قوله:–تبسمت – النور –فرحة– تغاريد الصبا – عذرية الأحلام – رشفت–خمري المنى –يختال .وكلها كلمات تشع سعادة وحبورا . وعندما أراد تصوير موقفه الحرج بين الضرتين بعد مباغتة الأولى لهما أختار الكلمات الرعب –صوت يجلجل – مذعورا –هبي –الحقد –الجوى –القصاص –تعذيب –الجريح –كراهية وجميعها تصور فداحة الخطب ورزء المصيبة

ويقول حسن الهويمل عن باعطب واعتماده في عرضه على الحكاية والوصف "والشاعر باعطب أكثر الحديث عن قضايا المرأة واعتمد في عرضه على الحكاية والوصف واستخلاص النتائج واستخدام الحوار[١].

وقد أوجز الشاعر المملوكي وأجاد التعبير عن حاله بين زوجتيه فيقول متهكمًا من حاله[٢]

تزوجت اثنتين لفرط جهلي ... بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت أصيرُ بينهما خروفًا ... فأنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحي وتمسي ... تداول بين أخبث ذئبتين
رضا هذى يهيج سخط هذي ... فما أعرف من أحدى السخطتين
وألقى في المعيشة كل ضر ... كذاك الضرّ بين الضُرتين

١() النزعة الإسلامية في الشعر العربي السعودي المعامر – حسن بن فهم الهويمل الرياض ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م – إصدارات المهرجان الوطني للتراث الثقافي ص٣٢٩ .

٢() انظر: مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني د. بكري شيخ أمين – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان العاشرة مايو ٢٠٠٣م ص ١٤٥ .

لهـــذي ليلـــة ولتـــك أخـــرى عتـــاب دائـــم فـــي الليلتـــين
فـــإن أحببـــت أن تحيـــا كريمًـــا مـــن الخيـــرات مملـــوء اليـــدين
فعـــش عزبًـــا فـــإن لـــم تســـتطعه فضـــربا فـــي عـــراض الجحفلـــين [1]

ومـن الأمثلـة المتقدمـة نجـد أن الـوازع وراء التعـدد عنـد فئـة ليسـت بالقليلـة –مـن المعـددين – لـيس دينيًـا كمحاولـة لإحيـاء سـنة المصـطفى ﷺ مـا دام الرجـل قـادرًا ماديًا ومعنويًا، أو لسد ثلمة في المجتمع من ازدياد نسبة العنوسة في المملكة، بل كـان راجعًـا – بالدرجـة الأولـى إلـى إشـباع غرائـز جسـدية ونوعًـا اتخـذه المعـددون – ترفيهًا وترفًا بدا ذلك مما جاء على ألسنة الشعراء أنفسهم فالشاعر الأول بيَّن أن دعوة أصدقائه له بالتعدد ليجد من تشبع غريزته في حالة ما إذا حاضت زوجته أو ولدت أو غضبت أونشزت مثلاً.
فهو يقول على لسان أصحابه[٢]:

أترضـــى أن تعـــيش وأنـــت شـــهمٌ مـــع امـــرأة تقاســـي مـــا تقاســـي
إذا حاضـــت فأنـــت تحـــيض معهـــا وإن نفســـت فأنـــت أخـــو النفـــاس
وتقضـــي الأربعـــين بشـــر حـــال كـــداب رأســـه هُشـــمت بفـــاس

والشاعر الآخر بيّن أن الداعي إلى التعدد كان أملاً وراء مزيد من السعادة والهناءة فكلا الزوجتين تسعى لإسعاده وإرضائه.
بدا ذلك من مطلع القصيدة وحتى البيت الحادي عشر مما حدا ببعض الشعراء أن يـرد علـى الشـاعر الأول ناصـر الزهرانـي بقصـيدة طويلـة ينقض مـا جـاء فيهـا مـن معان على نفس الوزن والقافية، مبينًا – أن التعدد اليوم أصبح ضرورة لحل ظاهرة متفشية في المجتمع وهي ازدياد نسبة النساء الأيامى في المملكة، كما يرد على ما جاء في القصيدة من مأساته في ظل اثنتين فيبين أن كثيرًا من الأسر تنعم بفضل الله بحياة آمنة يسودها الود والرضا والرحمة في ظل تعدد الزوجات فلا معنى لما أبداه من أسى مضن في ظل اثنتين فيقول في قصيدته[٣]:

---

١ الجحفلين – مثنى جحفل وهو الجيش الكثير والجمع جحافل

(٢) http;//www.ahleathea d.php? t=240737.

٣ htt;//www.ahleathea d.php? t=240737

أتانـــي بالفظـــائع بعـــض نـــاس وخاضوا فى الثوابت والأساس
وقـــالوا ســـنة التعـــداد شـــيء نـــذوق المـــر منـــه والمآســـي
ويحمـــل رايـــة التحـــذير شـــيخ يجيـد الشـعر يـنظم فـي حمـاس
فخاض غمار تجربة ضروس يقـــول بهـــا افتتـــاني وابتآســـي
.....
ألـــيس محمـــد خيـــر البرايـــا وخيـــر الســـائرين علـــى المـــداس
.....
فجـاءت فـي الكتـاب بلفـظ مثنـى ومثلـــي مـــع ربـــاع ولا خمـــاس
ألسـت تـرى النسـاء كثـرن حتـى يكـــون لســـتة رجـــل يواســـي؟؟
فهـــن بـــين أرملـــة وأخـــرى مطلقة تعاني أو تقاسي[1]
ومـــنهن التـــي ترعـــى صـــغارا تريـــد لهـــم مطـــاعم أو مكاســـي
ومـــا تبغـــي النســـاء ســـوى رجـــال ومـــا رمـــن الســـرائر مـــن نحـــاس
ومـــا رمـــن الســـرير بغيـــر زوج ولـــو يكســـى بيـــاقوت ومـــاس
فمـــا بـــال الرجـــال بهـــم فتـــور وقـــد كـــانوا رجـــالاً كالرواســـي
وإن تـــذمم نســـاءك غيـــرهن نســـاء يعتمـــدن علـــى أســـاس
كريمـــات حرائـــر صـــالحات لنـــا لـــبس وهـــن خيـــر لبـــاس[2]

تـــرى الرجـــل المكـــرم بيـــنهن كمـــا الملـــك المعظـــم بـــين نـــاس
فـــإن تغضـــبه إحـــداهن يومـــا فـــلا يعـــدم حبيبًـــا غيـــر قاســـي

فـــدع عنـــك المنـــاكح واعتزلهـــا ولـــن تحتـــاج قولـــك يـــا تعاســـي
أو قعـــد عنـــد واحـــدة فمعهـــا إذا نفســـت فأنـــت أخـــو النفـــاس

١() في الأصل تعاني ما تعاني والسياق بهذا مضطرب.
٢ :- البيت مكسور

وإن غضبت عليك تنام فردًا وتقضي ومحرومًا وتمعن في التناسي
الأربعين بحال سوء كجمس قد تعطل في الغراس
ألا أبلغ بني زهراء عني فشاعرهم تغرر بارتكاس
فقد عاب الأديب لنا بيوتا بفضل الله تبعد عن تعاس
فقوموا واحكموه بشر قيد فقد باء الأديب بكل باس
وقولوا إن أردت الشعر يوما م فجبن عن ثوابت أو أساسي
ودع شعراً يساء الفهم فيه ولو شعرًا كشعر أبي فراس
وإن تبغ القصائد ملهيات فقل شعرًا كشعر أبي نواس

وبهذه القصيدة نجد أن البعض قد شجع التعدد، ودعا إليه وبين أنه الأصل في الزواج فلا معنى للتحامل عليه وعلى من وقع فيه.

ونجد من بين الشعراء المعددين من وقف على طبيعة الضرّة وأنها مجبولة على الغيرة تلك الغيرة التي من طبيعتها أن تحمل المرأة على الغيبة والكذب والحط من قدر الأخرى ومحاولة أن تكون هي عين الزوج ومطمح نفسه، فأخذ في نصح الزوجة الثانية وتحذيرها من اغتياب الأولى وتجريحها والدس عليها وإلحاق الأذى بها بأية وجه من الوجوه.

يقول علي النعمي مخاطبًا زوجته الثانية[1]:

محبوبتي يا زوجتي الثانية يا فرحتي في العمر يا غالية
من أجلك اشتقت لهيب الضنى وفيك عانيت الخطى القاسية

منحتك الحب نقيا كما منحتني والحب كالعافية
يا زوجتي حسبك مني الوفا في عشرة ممتدة باقية
يعمرها الصفو ويسمو بها عن التدني في شفا الهاوية
قالت فما الأمر فقلت احذري من كل حالات الأسى الخافية

(١) ديوان عن الحب ومنى الحلم طبعة النادي الأدبي بجازان ١٤٠٥هـ صـ٨٤.
علي أحمد النعمي:/- ولد بمنطقة جازان عام ٣٥٦١هـ تقلب في وظائف صحفية مختلفة من مؤلفاته ديوان عن الحب ومنى الحلم و ديوان الرحيل إلى الأعماق و الأرض والعشق أنظر: شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب الحقيل صـ٢٨٩

إن اعوجـاج الطبـع حـال النسـا والغيـرة العميـا هـي الشـاوية
وهضـم حـق الـزوج لا عـن قلـى والدمعـة الكاذبـة الطافيـة
والقـذف والشـتم بـلا موجـب للضـرة الغافلـة النائيـة
والـدس والـنم وبـث الأذى كالذئبـة المسـعورة الضـارية
وتلـك لـو فكـرت فـي أمرهـا أقسـى طباعًـا فـي النسـا فاشـية

فالشاعر كان متعقلاً هادئا في توجيهه، دخل مدخلاً لطيفًا مع زوجته مدخلاً من شأنه أن يحملها على الطاعة والاقتناع بل والانصياع فبين حبه لها، وطيب عشرته معها ثم أخذ في تحذيرها من هذه الغيرة الهوجاء التي تعصف بالأسر وتعكر صفو الحياة، وتقف حجر عثرة في سبيل الاستقرار الأسري والهناءة الزوجية.
وقد وقف الشاعر على مكمن الداء من المرأة فأخذ يجوس خلال مشاعرها، وبين لها سُبل الوقاية منه إذ أن درب الحياة الآمنة مبني على استواء الطبع واستقامته، والقيام بحق الزوج بطيب نفس.
والشاعر بهذا – وهو الذي اجتوى بنار الضرائر – وضع دستورًا قويمًا للضرائر لحمته وسداه ,العدل في الأقوال والأفعال، والتسامح وهجر الفحش
هذا وإن كان النعمى قد عالج القضية معالجة منطقية بيد أنه لجأ إلى السهولة اللفظية التي تصل إلى حد الركاكة أحيانًا كلفظ "الشاوية" في البيت السابع.

قضية الطلاق

زادت نسبة الطلاق في المملكة العربية السعودية ازديادًا ملحوظًا، حتى ليمكن أن نعدها من جملة الظواهر الاجتماعية في المملكة , فقد سطر في صحيفة البلاد السعودية مقال تحت عنوان: " الخبراء يحذرون من ارتفاع نسبة العنوسة في المملكة" يوم الأربعاء ٣٠ مايو ٢٠١٢م. جاء فيه:- إن الخبراء يدقون ناقوس الخطر بسبب ارتفاع نسبة معدلات الطلاق بين الزيجات الحديثة، وتؤكد آخر التقارير الموثقة أن هناك ١٥٠ ألف امرأة مطلقة ومعنفة ومهجورة.
وترجع الأسباب المفضية للطلاق إلى:
إكراه الفتاة على الزواج ممن لا ترغب فيه وكذلك الولد، فيحدث – غالبًا- الشقاق وتزداد الكراهية بينهما بعد الزواج ثم يؤول الأمر إلى طلاق. ,ومنها زواجها من رجل يكبرها كثيرا في السن,ومنها قسوة الزوج وسوء معاملة الزوجة مما يكون سببًا في الشقاق والنفور ومن ثم الطلاق,ومنها سوء تربية البنت وتنشئتها على الدلال

والترف وعدم تحمل المسؤولية مما يجعلها تتأفف من أقل شيء وتغضب لأتفه الأسباب.

وبلا شك أن تعدد الزوجات يشرك بدوره في ازدياد نسبة الطلاق– إذ غالبًا ما يتزوج الزوج دون إذن زوجته ودون علمها كلية في كثير من الأحيان، مما يجعلها تحاول أن تثأر لكرامتها، وتسعى هي الأخرى لنيل حريتها، وتأخذها العزة بالإثم مصرة على الطلاق والفراق.

يقول منصور الحازمي عند حديثه عن الكاتب القصصي السعودي أحمد السباعي وحُلمه أن يرى المرأة السعودية قد قفزت قفزة مهمة نحو التحضر والتطور المعرفي(١).

" ... لقد تحققت أحلام السباعي في المرأة الجامعية المثقفة بعد انتشار التعليم، وبروز المرأة في حدود التقاليد عضوا عاملاً في المجتمع، ولكن لا يزال للمرأة الكثير من القضايا بعضها مُزمِن وبعضها قد برز نتيجة للتحول الاجتماعي الذي تحدثنا عنه، ومن مشاكلها المزمنة، إرغامها على الزواج ممن لا تحب الاقتران به، أو ممن يكبرها كثيراً في السن، ومنها قسوة الزوج أو استهتاره أو زواجه من أخرى بدون سبب معقول".

وقد دار شعراء القطر السعودي في فلك هذه القضية مرارًا مهيبين بالآباء أن يضعوا رغبة الأبناء نصب أعينهم، وألا تكون المادة والغنى المقياس في الاختيار فالمال عارية مستردة.

فيصور أحمد باعطب قضية إكراه الفتاة على الزواج بمن لا ترغب بصورة مأساوية تحملنا على الحنو عليها ومشاركتها مأساتها، فيصورها مذنبة تساق إلى الجلاد، ويصور من يزفونها أسود شرى يتناهشون لحمها ، وهي لا تملك حولاً ولا طول . فيقول(٢).

غرقت في حمأة الإذلال ... شمس العصور كريمة الأجيال
بيعت بأسواق النخاسة مثلما ... بيع الرقيق بأرذل الأموال
زفت إلى الجلاد قاتل أختها ... وعفافها مدمي من الإذلال
زفت وسوط الهون يفرى عزها ... ورغابها موثوقة الأغلال

١() فن القصة في الأدب السعودي الحديث– دار ابن سينا للنشر ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م ص ٩٣.

٢() ديوان قلب على الرصيف – الأولى ١٩٨٣م ص ٩٢ وما بعدها.

وتـــراقص العـــذال ليلـــة عُرســـها طربًـــا لذلـــة ربـــة الإجـــلال

.

وقد غلب الإيقاع السردي على القصيدة, فنجد الشاعر يسترسل في الوصف وتصوير الحدث تبعا لرغباته وميوله وعمق تجربته

ومن العجيب ألا يومئ أحد منهم إلى حديث الرسول ﷺ في وجوب استئذان البكر واستأمار الثيب فقد جاء عنه ﷺ: " لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا: يا رسول الله وكيف أذنها قال أن تسكت "[1]. واكتفوا بتصوير جسم الخطب ورزء المصيبة على الفتاة ولا شك أن في الإشارة إلى ما جاء في القرآن والسنة سبيلاً لحمل ولي الأمر على أخذ رأي المرأة فيمن يتقدم لخطبتها فالمؤمن وقافٌ عن حدود الله وأوامره.

ومن الأسباب المفضية إلى الطلاق أيضًا عدم رؤية الخاطب للمخطوبة والعكس، فنظرة الخاطب للمخطوب من شأنها أن تحدث رضًا وقبولاً أو رفضًا وعدولاً وبالتالي يكون الخاطب على اقتناع بما ستزف إليه إذ هي رغبته وثمرة اختياره .

و لإبراهيم العلاف قصيدة جيدة في إكراه الفتاة على الزواج وعدم رؤيتها للخاطب ,وما ينجم عن ذلك من تشريد الأطفال وفسخ لعرى الزوجية ,فليرجع إليها من أراد المزيد [2]:

ومن الأسباب المفضية للطلاق أيضًا، سلوك الزوج المشين ، البعيد كل البعد عن قيم الدين، وأخلاق الرجال– كإدمانه المخدرات وركونه إلى صحبة أهل الضلال ، وإدمانه لبعض الألعاب على مواقع الشبكة العنكبوتية كل هذا يؤدي بدوره إلى إهماله لشؤون بيته وزوجه وعدم اهتمامه بواجباته تجاه من تجب عليه رعايتهم مما يؤدي إلى النفرة من قبل الزوجة والضجر وإعلان الشكوى، وإيثار الطلاق على هذه الحياة اللاهية العابثة.

ويصور هذا من بعض الوجوه– أحمد النعمي– في ديوانه عن الحبُ وفي الحلم فيقول[3]:

عـــاد لـــيلاً فـــي حيـــرة واضـــطراب وبأعماقـــــه صـــــفات الـــــذآب

١() انظر مختصر صحيح البخاري – الإمام زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي تحقيق إبراهيم بركه – دار النفائس – بيروت الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، الجزء الأول والثاني – كتاب النكاح ص ٤٣١.

٢() أنظر المجموعة الشعرية الكاملة – الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م– مطابع الصفا، مكة المكرمة ص ٦٨٩.

٣() ديوان: –عن الحب ومنى الحلم – صـ ٥٠ علي أحمد النعمي. سبق التعريف به.

قال: من أنت؟؟ يا: وشد ذراعي ورماني أرضًا وشق ثيابي
وبلطف دافعته .... فتهاوى فاقد الحس، خائر الأعصاب
يتلوى على الفراش، ويهذي بكلام خالٍ من الآداب
وصحا باكرًا وقال سفاهة أن يعيش الشموخ صنو التفاهة
أنا في مركز عظيم، وأحظى في حياة الأحياء بكل الوجاهة
أنت عندي وجه قبيح فغيبي عن حياتي قالت: تعيش البلاهة
إن نفسي شريفة واصطباري قتل الأدعياء بسيف النزاهة
ليس من يستطيع كسب فؤادي باحتقار يسعى به لاضطهادي
لن يراني بعدها لن يراني طالما عاش عابثًا بودادي
فبوادي الأسى أعيش احتراقي ويعيش الجوال في ألف وادي
لي حس ولي مشاعر شتى تحتويني وما أنا بجماد
واختتمنا مسلسل الأشواق بطلاق أنهى اعوجاج الوفاق
. .

وقد نجح الشاعر في تصوير مشهد المخمور ومن يتعاطى المخدرات من فقد الوعي ,والهذيان بألفاظ لا تليق,وتصرفات وأفعال عدوانية

وكما نرى أن الحوار كان أكثر التقنيات حضورا في القصيدة وقد فرض السرد إيقاعه المحدد في نهايتها لتبقي قدرا معينا في سرعة الإيقاع الذي كان على أشده في بداية القصيدة

ومن أسباب الشقاق بين الزوجين طغيان الماديات على كثير من الأسر السعودية، وانشغال المرأة- خاصة- بأمر زينتها وبهرجها الزائد، والرغبة في الظهور أمام لداتها ونظائرها بمظهر المترفة مما يثقل كاهل الزوج، ويغرقه في ديون لا مبرر لها، سوى سوء تصرف زوجته وحماقتها ويزن أمره بعد لأي، ويرى أن امرأته هي السرّ وراء إرهاقه فيلفظها غير مأسوف عليها.

قال أحدهم ناقلا حوارا دار بينه وبين زوجته [1]:

قالت: لقد صدقت عليك تجاربي الحب عندك ذو طلاء كاذب
تلهو بعاطفتي وتزعم فريةً في الحب أنك ذو فؤادٍ واجب

١() انظر الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية/ مسعد العطري ط ١٤١٧ صـ٢٦٧.

لـولا عيـون الخـوف ترقـب سـيرتي ... لبغت مكوسـي فـي الهـوى وضـرائبي
الله يعلـم كـم سـفحت دمـي علـي ... كتفيـك رقراقًـا بغيـر شـوائب
وجعلـت مـن قلبـي لقلبـك جنـة ... يختـال فيهـا لا هيـا بأطـايبي

أهلـي سـقتك أكفهـم بـرد الرضـا ... ورعـاك فـي دفـء الحنـان أقـاربي
مـن أنـت لا خلـق يقيـك ولا هـدى ... نضـبت بوجهك فـي الحيـاة مشـاربي
فأجبتهـا: أنصـفت لكـن طـال بـي ... قيـد الهـوان ومـا بلغـت مطـالبي
لمـا رأيتـك تنتشـين طروبـة ... مـن حسـرتي أنشـبت فيـك مخـالبي
وعلـى طريـق اليـأس فـي زمـن الـردى ... ضـيعت إحساسـي وصـنت مثـالبي
أنـا قـد رحلـت إليـك عبـر قصـيدة ... كانـت تضـيء علـى جبـين مراكبـي
لكننـي لمـا رأيتـك خلسـة ... فـي الغـي غارقـة حزمـتُ حقـائبي
ورحلت عنك وقد ثأرت لعزمتي ... وتركـت عـاطفتي تقـود كتـائبي

والقصيدة تصور بشفافية ما يحدث بين الأزواج من مشاجرات وحوارات غاضبة عابسة فأجواء المشادة تسيطر عليها, سيطرة شبه تامة, فضباب الخلاف يخيم حيث تذكير الزوجة وإن صح التعبير معايرة الزوجة لزوجها بما قدمته له هي وأهلها من فضل وحب ومنة , وكان الخيال الجزئي أبرز صور التصوير في القصيدة, فالبيتين الرابع والخامس كناية عن اجتهادها في إسعاده وإرضائه, والبيت قبل الأخير كناية عن الفراق والبعد ونجد الاستعارة يكتنفها البيت الثامن في قوله, أنشبت فيك مخالبي,وقد كان للتشخيص دور حيوي أيضا في التصوير فالقلب يختال والعاطفة تقود

ويتعجب با عطب من حال الأزواج مع زوجاتهم ، بل من حال الأمة جميعها التي ألفت الركون إلى الدعة واللهو واستمرأت الترف ، فإذا جد على الساحة أمر واحتاج إلى التشمير نكصت على عقبيها وأحجمت وتولت القهقرى، ويوجه الشاعر سؤالاً إلى زوجة اليوم، مستفهمًا عن سر ازدياد الطلاق، لعله يجد عندها جوابًا شافيًا فيقول[1]:

١() انظر الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية/ مسعد العطري صـ ٢٧٣نقلا عن صورة مخطوطة من القصيدة لدى الشاعر

هـل نقضـي حياتهـا فـي شـقاق مـع علمنـا أن القليـل البـاقي
نتخلـى إن كـان فـي الأمـر جـدٌ وإلـى اللهـو كلنـا فـي سـباق
سـوف تمضـون كلكـم لـو أخـذتم سـاعة مـن تـأملي واحتراقـي
نحـن مـن قيـد الحيـاة فأضـحي فـوق كـل الأعنـاق شـدَّ الوثـاق
نحن من ينشر الجروح على الأجسا ـد مـن يجلـب البكـا للمـآقي
وبإعطائنا النفوس هواهـا قد بلغنا بالروح حد التراق
زوجـة اليـوم أي شـيء هـو السـ ـر مـن الجيـل فـي ازديـاد الطـلاق

فالشاعر يلقي تبعة الطلاق على المرأة وقد وصل إلى حالة من اليأس والأسى من خلال تأملاته لحالات الشقاق والطلاق المتعددة فمن يقرأ لهذا الشاعر الفكه الساخر ديوانه قلب على الرصيف ويقرأ قصيدته السابقة وما تحمله من أسى يجد أن الشاعر قد وقف مع نفسه في تأملات خلوية تأملية مريرة.
وينحو عبد العزيز الرويس منحى آخر لمعالجة بعض ما يُفضي إلى الشقاق والنفرة بين الزوجين ,عن طريق إحياء غريزة الوفاء عند الزوج فيحاول تذكيره بماضي الزوجة معه , فقد آزرته في كثير من أزماته وأسعدته بابتسامتها الندية وطلعتها البهية، وسهرت على أولاده، وتفننت في تهيئة جو من الدعة والراحة له، فهل يكون جزاؤها الهجران والصدود، كما يتوجه إلى الزوجة بالنصح والإرشاد حاثًا إياها على الصبر والحلم والأناة فعليها ألا تتسرع في طلب الطلاق أو الخلع.

فيقول مصورًا شكوى زوجة صدود زوجها، وإهماله إياها ، وتركها في عشه كقطعة أثاث لا حوار ولا سؤال ولا روح أسرية يُشم منها رائحة المودة والرحمة[1]:
شكت لي صدود البعل عنها وقد بدت كسيرة بالٍ تندب العزَّ والإد نا

١() ديوان حصيد الزمن– الأولى ص ٢٧١.

هو عبد العزيز بن عبد الله الرويس شاعر سعودي –ولد بالخرج عام ١٣٤٨، عين مفتشًا للمواد الإسلامية بوزارة المعارف عام ١٣٧٩هـ، ثم رفع بعد ذلك إلى وظيفة مستشار بالمجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب بوزارة المعارف=. انظر شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب للحقيل ص ١٠٦

وكانت إذا جاءت يطير بها الفتى ... وتؤنس ناديها وكم طردت حُزنا
فديتك يا هذا تعز مكانها ... فقد تعبت بالهجْر إذ قلبها حُنَّا
أيرضيك أن تُمسي الرشيقة عالة ... وبالمنزل المهجور يا حَسْرَة الحُسنا
وما قلت يومًا للقصيدة تزلفا ... ولكنه الإخلاص فانعم بذا المجني
لعمرك إن الدين لا يرتضي الأذى ... فسربالذي يُرضي تكن ذاالنُّهى الأسنَى
فكم حفظت إذ غبت سابق عهدها ... أمينة بيت تحفظ المال والإبْنا
خصال حنان كيف تجزي بضدها ... رجوتك تغنيها وتمنحها الإدنا
أيا بنت أهلي اتركي كل مزعج ... تصيري كسلسال يُطيبُ لكِ المَغنَى
فنحن بعصر متعب لخلالنا ... تحوَّل أهلوه إلى خلق أدنى
بنات بلادي لا تطعن مغاليا ... بدفع صداقِ العرس وافهمن ذا المعنى

فالشاعر قد ساءه مسلك بعض الرجال مع زوجاتهم، فما دامت المرأة تحافظ على الزوج وتعامله بالحسنى وتعاشره بالمعروف فلم الجفوة والنفرة ، وتوجه الشاعر إلى المرأة ناصحًا بالتحلي بالصبر، وممارسة الحياة دون أن تلقي بالاً لهذه المنغصات وهو بهذا يسد عليها الكثير من سُبل الشقاق والطلاق والفراق.

ولعل الشاعر عبد العزيز الرويس من الشعراء القلائل الذين عالجوا موضوع الشقاق بين الزوجين بمنطقية وحكمة.

فقضية الطلاق– في نظر الكثير من الشعراء السعوديين – لم تتجاوز – غالبًا– سرد قصصٍ بين الزوجات وأزواجهم، وبيان سبب الشقاق والفراق أما ما يخص جانب المعالجة فقلما نجد من تعرض له.

ولعلهم في إبدائهم سبب المشكلة من زواج بالإكراه، أو عدم مراعاة الكفاءة، أو السلوك غير السوي من قبل الزوج، يلفتون نظر الأزواج والآباء إلى السبب رغبة في عدم إتيانه وإعادة النظر في الاختيار بعد ذلك ، فالتعليم عن طريق الوسيلة أجدى وأنفع في كثير الأحيان، فسرد القصص المتباينة الأسباب والتي انتهت بفصم عرى الزوجية ترمي إلى أخذ العبرة منها والاتعاظ بها.

ومما يندرج تحت قضايا المرأة في المجتمع السعودي:

استبداد – كثير من الأزواج بآرائهم– وجعل الزوجة– في منزل الزوجية كما مهملاً لا مشورة لها ولا رأي، وما ذاك المسلك من الرجل إلا خشية أن يشاع عنه أنه تحت إمرة زوجته و مشورتها كما يقولون فتأخذه العزة بالإثم وينفذ رأيه ويقال ساسة حتى

لو كان ذلك على حساب الحق والصواب.

فتجد المرأة كثيرًا ما تشكو تسلطه واستبداده برأيه، والذي كثيرًا ما يعوزه الحكمة ويخرج عن جادة الصواب .

فها هو أحدهم أغراه أصدقاؤه بقضاء الإجازة الصيفية خارج المملكة وبدون رأي أو مشورة ، أخرج تأشيرة السفر وما أن علمت الزوجة بذلك حتى ارتعدت فرائصها لما تسمع من قصص للكثير ممن يستهويهم هذا الجو، وبدأت الزوجة بمناقشته ظنًا منها أن بإمكانها أن تثنيه عن عزمه وأن يقضي الإجازة معها ومع أولاده، فأخذته العزة واعتلاه الوجوم وأكد عزمه، إذ قد وعد أصحابه– على حد قوله – ولن يخلف وعده؛ لأن ذلك في ظنه ينافي المروءة. فيقول من قصيدة طويلة ا[1]:

ماذا يقول لها وكيف يعبرُ ... أم ما الذي دون الشريكة يُضْمرُ
هي زوجة فضلى وذات مواقف ... للبيت للألأ ولاد لا تتغير
قد كان يغدو للوظيفة راضيًا ... ويعود نحو البيت لا يتذمر
حتى دعاه الصحب ذات عشية ... لم لا تسافر مثلنا يا جوهرُ
لم لا تسافر في الإجازة مرة ... لترى حياة فوق ما تتصور

وبنفخة نادى شريكة عمره ... هاك انظري إن الجواز مؤشر
قالت: وكيف؟ فقال لا تتعجلي ... فأنا كما.... وإذا ابتليتم فاصبروا

أترى أودعك الغداة وصبيتي ... في رحلة تمتدُ بي أو تقصُرُ؟

قالت ألا يرضيك أنك بيننا ... تنهي كأسياد الرجال وتأمر
فأجبتها ماذا أقول لهم وقد ... حجزوا... وبالإقلاع فجرًا أشعروا
ودعيك ظن السوء فيمن سافروا ... عن أرضهم يوما فقالت: فكروا
أي امرئ يرضى بحرمان أهله ... من كسبه .. لينال منه المظهر
وعلى الحكيم بأن يفكر جاهدًا ... فيما يُنمي رزقه ويطوِّر
فأشار أن .. قالت: تلبث لحظة ... إن البغاث بأرضنا يستنسر
يا سيدي يا من قبلتك فارسا ... للخيل حكم والكماة مسطرُ

إياك من تقليد أصحاب ومن ... نفر– لهم في كل ساح بيدَرُ
ألقوا بعادات وأعراف إلى ... مستنقع وعلى الرديء تجمهروا
وكأنها كالصخر لا تدري بما ... ذهبوا له.. أو ما به قد زمَّرُوا
فاحتد إدلالاً.. وقال: تمهلي ... أنا "عنتر" أنا "حمير" أنا "حيدر"
لا تسألي عني ولا تتطاولي ... يومًا عليَّ.. ولا.. فقالت فكروا
يا أيها الأزواج أية حيلة ... هذي... وحقٌ أن رزقتم فاشكروا
أخباركم تأتى إلى أسماعنا ... ونكاد من آلامنا نتفجَّر

١() علي أحمد النعمي – المجلة العربية– عدد جمادي الأولى ١٤١٥هـ ص ٢٨.

الكـــل راع وهـــو مســـؤول غـــدا ... حـــق الرعيـــة ثابـــتٌ ومقـــدر
فلتتقـــوا الله الـــذي اســـترعاكم ... وليصـــلح الخطـــأ الجلـــيّ مقصَّـــرُ
لا تفتكـــوا بنســـائكم وصـــغاركم ... لا تجعلـــوا أحلامهـــم تتعثـــرُ
لا تشـــعروهم أنكـــم فـــي عزلـــة ... عـنهم.. ولا تستحسـنوا مـا حقـروا
لا تصنعوا قال: اصمتى وكفى كفى ... سفري وأصحابى الغداة مقررُ
ومـــع الصـــباح تقـــدمت لوداعـــه ... وبرقـــة قالـــت: إلهـــي يســـتر

والشاعر وهو ينبه على ضرورة مراعاة جانب الزوجة ومشاعرها، وألا تكون أسيرة لديه كسيفة البال، كسيرة الخاطر أشار إلى عدة قيم يجب مراعاتها من ضرورة الاقتصاد في النفقة فلا ينبغي على الزوج إهدار المال فيما لا ينفع أو نفعه مقصور عليه كالسفر للترفيه في بلاد غربية غالية القيمة.

فهو راع ومسؤول عن رعيته، وهو واقف –لا محالة– بين يدي ربه سبحانه سائله عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ومن ضرورة التفاعل والتواجد مع الزوجة والأولاد يجلسون، يتحاورون – يعرضون المشاكل وما يعن للأسرة من أمور في حالة يسودها الود والرحمة والرأفة.

ويصور أحمد إبراهيم الغزاوي نموذجًا آخر لزوج بخيل مقتر يعد الزوجة من سقط المتاع فيقول من قصة طويلة لفتاة فقيرة عاشت طيلة حياتها تماري المآسي والشدائد فقد ولدت لأب فقير وماتت أمها في شبابها ثم تزوجها هذا الشاب المتعسف الظالم فلم يزدها الزواج إلا شقوة وعذابا ([1])

[1] أنظر الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد د. إبراهيم بن الفوزان د الثاني ص ٨٠٤ الطبعة الأولى مطبعة المدني، ١٤٠١هـ – ١٩٨٩م.

قضية التقليد

من المستغرب أن نُطلق على التقليد – قضية – من قضايا المرأة – نعم إنه قضية بل إنه الداء العضال، والعلة المستحكمة.

فنجد الفقير يُقلد الغني في كثير من المظاهر الاجتماعية التي لا طائل وراءها سوى الديون المثقلة، وما يتبعها من الهم والغم وانشغال البال.

والمرأة تباهي أختها أو صديقاتها في حفل عشاء كبير أعدته أو ثوب سهرة غالي الثمن اشترته أو فيما يركبه زوجها من سيارة فارهة حديثة الموديل– وليس ذلك فحسب بل أضحت تقلد الواحدة الأخرى في الفرش والأراكي، والمآدب والموائد ، ومغبة التقليد تقع على كاهل الزوج بالدرجة الأولى فهو غالبًا الذي يدفع ويقوم بالسداد.

فموجة التقليد الأعمى للغير من جانب الزوجات، ومحاولتهن الإسراف في الزينة دون مبرر،غير أنهن يردن التشبه بالنساء اللاتي يرفلن في الدمقس وفي الحرير، ويثقلن أعناقهن بالحُلي والجواهر قضية من أهم قضاياها ,بل أضحت من لا تجاريهن في المظهر مادة للهزأ والسخرية وحديث للهمازات واللامزات في محيطها الاجتماعي فما أكثر اجتماعهن وما أكثر تجمعهن .

ومن أكثر الشعراء تعرضا لقضية التقليد وجهادا في الأخذ بيد المرأة إلى طريق القناعة والوسطية ، والسير على درب المؤمنات الصالحات الشاعر أحمد باعطب.

فها هي واحدة من أولئك تعقد مقارنة ممقوتة –إثر التقائها بجارتها في حفل –بين حال زوجها المكافح رقيق الحال الذي أفنى حياته بين كُتب الأدب واللغة وحال زوج صديقتها الذي كان بالأمس فقيرًا مُعدمًا فصار اليوم ثريًا مُعلما ترفل زوجته في المرط والزينة، فيصور ما دار من حوار بين الزوج و زوجته، محاولاً حملها على الرضا والقناعة، وألا تحمله ما لا يطيق فيقول[1]:

أتت والغيظ يصفح وجنتيها	ويلهب جمرة في مقلتيها
وتعجن بين فكيها سبابي	وتنفخ بالتنهد منخريها
وقلتُ معاتبًا كفي فهبت	لترسم فوق ظهري راحتيها
وقالت جارتي بالحفل تاهت	بأسورة تزين معصميها

(1) أحمد سالم باعطب– ديوان قلب على الرصيف الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م دار الرفاعي للنشر ص ١٢١ وما بعدها.

وفـــي الأذنـــين مـــن ذهـــبٍ ودر تضـــــيء ثريتـــــان بعارضـــــيها
ألـــم يـــك زوجهـــا بـــالأمس يشـــكو وتعصـــــره الـــــديون بقبضـــــتيها
فكيـــف لـــــه تبســـمت الأمـــــاني فهـــب هـــوى وقبـــل مبســـميها
وأنـــت تطـــوف فـــي صـــحراء فقـــر وتلـــتمس الســـعادة فـــي يـــديها
وبالعقـــد الفريـــد غنمـــت يومـــا فجئـــــت بـــــه لتنثـــــره عليهـــا

وصـــحت بهـــا مكانـــك يـــا هـــزار أقلـــــي اللـــــوم فالأســـــعار نـــــار
لهيـــب التبـــر أحـــرق كـــل حُلـــم كمـــا عقـــر الأمـــاني العقـــارُ
ولـــو أنـــي أتيـــت بكـــل دخلـــي لقهقـــــه ضـــــاحكًا منـــي ســـوار

دعينـــا فالســـعادة يـــا حيـــاتي رؤى كـــــذب وثـــــوب مســـــتعار
ضـــعي حلـــل المظـــاهر واحرقيهـــا فـــإن زخـــارف الـــدنيا ضـــرارُ
ومكتبتـــي لعمـــرك رأس مـــالي دعيهـــا إنهـــا نعـــم الـــدثارُ
وإن أعمـــاك مـــن دنيـــاك لهـــوٌ فـــذاك فصـــالنا ولـــك الخيـــار
إذا مـــا عشـــت أنحـــت مـــن عفـــافي رغائـــب زوجتـــي فأنـــا حمـــار

وقد أجاد الشاعر في نقل الحدث, وبلورة الصورة, بما أضفاه عليها من الظلال والحركة واللون., ومن الروح المرحة الفكهة التي تنتزع البسمة وتثير في النفس الرغبة في المتابعة أقرأ معي قوله في القصيدة:

فأعليـــت المســـاند لـــي ســـياجًا مخافـــــة أن أذوب بناظريهـــــا
وقلـــتُ معاتبًـــا كفـــى فهبـــت لترســـم فـــوق ظهـــري راحتيهـــا

والشاعر مع كونه عربيا أبيّا لا يأنف أن يصور مسلك بعض النساء مع أزواجهن وتجاوزهن حدود الحشمة واللياقة والأدب في التعامل

والقصيدة بمثابة عين راصدة لما يحدث على الساحة الاجتماعية من انغماس الكثيرات من النساء في التقليد الأعمى وشغفهن بالزخرف الحضاري ولو أدى ذلك إلى إجهاد الزوج واستدانته.

كما يصور من بعض الوجوه – ما يعانيه الكثير من الأزواج مع زوجاتهم، في

محاولة منهم لإثنائهن عن الرغائب التي لا طائل ورائها من جهة و الأسلوب الأمثل في المحاورة والإقناع من جهة ثانية، اسمعه يقول مقنعًا ومحاجًا:

فهل أرضى على كبري بمالٍ جناحاه الخديعة والقمار
عبيد المال كالأنعام عيشًا سواءٌ عندهم شمم وعارُ
.

كما يؤكد أن عيش الكفاف مع الرضا وراحة البال خيرٌ من عيش الثراء مع المشغلة والقلق النفسي فيقول في نفس القصيدة.

دعينا في رحاب الفقر نحيا علينا من رضا المولى ستار
كفانا أننا نضحي ونمسي قناعتنا لنا نعم الشعار
ننام وأعين المثرين تدمي مشنجة ولیلهم احتضارُ

وحاول أن يطفئ نارها المستعرة وغيظها المتقد بأسلوب فكه ساخر عودنا عليه باعطب قائلا:

إذا ما رامنا بالغزو لصٌ لولى هاربًا وله خوارُ
تنغص ناظريه سلال خبز عليها من نظافتها وقار
وتخجله مقاصر سافرات لها الخلخال إسمنت وقار
ويرهبه سكون البيت حتى يرى أن الرباح هو الفرار
.

والقصيدة احتوت على ستة وأربعين بيتًا ، استخدم الشاعرفيها بحر الطويل وهو بحر يتسع للبث والشكوى وتتبع التفاصيل و يلائم التحليل وقد وفق الشاعر في اختياره إطارا لهذا الوصف .

وينطبق على أحمد باعطب هذا الشاعر المعاصر حكم ابن رشيق على ابن الرومي في قوله: " تجده يقلب المعنى على وجوهه، ويقلبه ظهرًا لبطن، ويذهب إلى كل وجه وصوب، حتى لا يترك فيه مطمعًا لأحد من بعده"[1].

والقصيدة كلها تنثال انثيالاً طبيعيًا، وتتدفق في خفة وتسرى في عذوبة

وكان للخيال دور بارز في التشخيص والتصوير وبلورة الصورة ونقل الحدث بكل دقة كما كان للفظ الفصيح الرشيق دور ه في تكوين الصورة

١() العمدة في محاسن الشعر ونقده تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت ج ١ ص ١٦٤.

وأخرى تتضجر من عمل المنزل والقيام بشؤونه وتطلب من زوجها استقدام خادمة ، كما جرى بذلك العرف الحديث بالمملكة ويحاول أن يثنيها عن مطلبها، من خلال بيانه أن القيام بشؤون المنزل مهنة أمهاتنا وجداتنا ، وما نساء اليوم بدعًا منهن.
كما يبين مخاطر الخادمة وما تجلبه للبيت من شرور وشقاء وإرهاق مادي يقع على كاهل الزوج ، يسعى هو ويكدح وتكسب هي وتربح انظر إلى قوله محاورا[1]:

أقبلت تقطر طفلاً بيد ... ويد تحض طفلاً يرضع
وأحالت فمها نافورة ... ترسل الشتم وحينا تسجع
وانبرت تتلوا بيانا ثائرا ... أيها الناس اسمعوا مني وعوا

أنشب اليأس بقلبي نابه ... والأسى من أمنياتي يرتع

والمنى غيضت بأعماق الضنى ... ورؤى الأحلام بيدٌ بلقع
بين كي وغسيل أقفرت ... جنة الحسن وجف المنبع
وبحمى الطبخ مني سُفحت ... من شراييني هوانا أدمع

قلت أمي لم تعش إلا هنا ... أنجبت عشر بنات وأنا
تصبغ المكنس من راحتها ... لم تقل أف ولم تشك الونى
تملأ الدار أزاهير رضا ... يحضن النسرين منها السوسنا
.....
أحضر الخادم حقق رغبتي ... فكلانا رب علم وحجا
وادرأ الإجحاف بالحسنى فما ... أبلغ القلب إذا القلب هجا

قلت للخادم في البيت شرور ... فسلي عن دائها أهل الدثور
نقبي إن شئت – تاريخ الورى ... واقرئي العبرة من صدر العصور
كم جنت خادمة من سوءة ... جعلت للآه رقم في الصدور

1() ديوان قلب على الرصيف – الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

نحـــن بالمـــال غـــدونا خـــدما وغـــدا الأســـياد أربـــابُ الأجـــور
نعصـــر العمـــر لكـــي نحظـــى بـــه وهمـــوا مـــن جهـــدنا شـــادوا القصـــور
بئســـما علـــم تســـلحت بـــه إن تكـــن ســـيماؤه حـــب الظهـــور
يســـتحم الكبـــر فـــي أعماقـــه وعلى شطآنه يلهو الغـرور

قالـــت الحســـرة تغتـــال شـــعوري ويـــدُ الإجحـــاف تجتـــث جـــذوري
أنـــت مـــا أنصـــفتني فـــي محنتـــي وتطاولـــت علـــى حســـني ونـــوري
وتنكـــــرت لأيـــــامي التـــــي عشـــتها تنهـــلُ مـــن نبـــع ســـروري

والقصيدة تحتوي على إحدى وسبعين بيتًا، استقصى الشاعر فيها كل أطراف الموضوع، وعالجه معالجة منطقية تتكئ على دلائل عقلية صحيحة، من شأنها أن تحمل المحاج على الإذعان والانقياد لرأي الآخر ، وقد استعان بالحوار الذي هو من أبرز خصائص المحاجة والمناظرة، ومن أهم سمات الشاعر في قصيدته، سعة الصدر والهدوء والمحاجة بالحسنى و بلا شك أن الحوار الهادئ أفضل السبل للإقناع الوصول للحقيقة وكشف الصواب وحمل المتلقي على الرضوخ والقبول.
والحوار كما شاهدنا ما يلبث أن يتسارع بفعل انتقال القصيدة من جمل حوارية منتقاة تظهر تكثيفا لغويا كبيرا حتى تقترب من تشكيلها الصيغي من الحكم
وتحقق في القصيدة – بل في جل قصائد باعطب الوحدة الموضوعية، ومما لا شك فيه أن طول الحوار أعطى القصيدة وحدة وتماسكًا، وساعد على شرح الفكرة الأساسية... وبذلك يكون الشاعر قد وظف القص الشعري والحوار توظيفًا ناجحًا وحقق به غايته التي يرمي إليها
وقد أخذ الحوار في القصيدة طابع المواجهة، فيتحدى كل طرف صاحبه، ويستنفر قواه فتتعارض الإرادات وتتصارع الأفكار أو يكمل أحد المتحاورين الفكرة التي يطرحها الآخر فتظهر الشخصيات على حقيقتها، ويتضح مسلكها وتصرفها ؛ لأن الحوار يكشف عن الكثير من الجوانب النفسية لأفراده، مهما تنوعت موضوعاته، وتعددت شخصياته[1].

١() الحوار في القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموي – الأولى ١٩٩٥م ١٤١٦هـ د/ سيد عمارة – ط التركي بطنطا –المقدمة من ب إلى ج.

والحوار هنا – حوار أخلاقي إصلاحي اجتماعي بالدرجة الأولى فالشاعر يريد أن يحيي في نفس زوجته وفي نفس كل امرأة مسلمة روح العطاء والتعاون مع الزوج، فعمل المنزل شيء يتوافق وطبيعة الأنثى التي جُبلت على حُب النظافة والتنظيم ورعاية مملكتها وترك بصمات رائعة من صنع يدها على هذه المملكة.

فالشاعر يريد أن يحمل المرأة على العمل الذي يوافق طبيعتها من جانب ويحذرها من إرهاق كاهل الزوج إذا لبى كافة مطالبها من جانب آخر.

وله قصيدة ثالثة تحت عنوان الوليمة القاتلة دعا فيها إلى الاقتصاد في النفقة ونبذ التقليد الأعمى للغير [1]:

وباعطب بهذا يعد من الشعراء القلائل الذين تجشموا معترك التقليد عند النساء السعوديات وفند مظاهره وأكد على مخاطره كما أكد على ضرورة أن تكون المرأة أداة بناء وساعد من سواعد التنمية الأسرية بدل أن تكون معول هدم وتفكك لها, كما حاول جاهدا زرع الثقة في نفس المرأة بأن تكون لها شخصيتها المستقلة التي تنبؤ عن رجاحة عقلها.

قضية قيادة المرأة للسيارة

أثارت قضية قيادة المرأة للسيارة– ولا زالت – ضجة كبرى وعلى نطاق واسع في المملكة السعودية في حياتنا المعاصرة، فمنذ طالب الكثيرات من النساء السعوديات بالسماح لهن بقيادة السيارة وعرض الموضوع على مجلس الشورى، انبرى العديد من الشعراء في التعبير عن رفضهم لهذا الموضوع ، موجهين حديثهم للمجتمع والشعب السعودي بجميع فئاته، وكأنهم يريدون حمل المجتمع بأسره على التصويت لصالحهم في محاولة جادة أن يحولوا بين المرأة وبين مطلبها متخذين أساليب شتى في التعبير عن رأيهم، فحينًا نجدهم يعالجون الموضوع بطريقة عقلانية تستند إلى كثير من الحجج والأدلة المنطقية وأحيانًا يتخذون السخرية والتهكم –من ولي أمر المرأة زوجا كان أم أبا – سبيلاً للحيلولة بينها وبين ما تشتهي .

ومن الجدير بالذكر أن كل فئات الشعب قد أدلوا بدلائهم في هذه القضية فقد تآزر رجال الدين وأئمة المساجد والأدباء، على حمل المرأة للعدول عن مطلبها.

وممن عبروا عن آرائهم في هذه القضية من الشعراء ياسر التوجري،و/ حمدان بن راشد، والشيخ/ سعود الشريم و/ قصبل العيسى،و/ ضياء الدين رجب.

وكان مما احتجت به المرأة في السماح لها بالقيادة،:– التحرر من ربقة الركوب مع

١() أنظر ديوان قلب على الرصيف ص ١٢٨ ، ١٢٩.

سائق أجنبي وما يجلبه ذلك من شرور على الأسرة جميعها، والذي كثيرا ما تضطر للركوب معه، لانشغال الزوج أو سفره أو تأخره في العمل لسبب أو لآخر.. فتجد الزوج يوكل أمر زوجته وأسرته لسائق أجنبي قد تم التعاقد معه، أو تلجأ هي إلى أحد أقاربها أو جيرانها في حاجتها.

فهذا الشيخ سعود الشريم – إمام الحرم المكي– يوضح للمرأة ما يخبأه أعداء الإسلام للمسلمين في محاولة منهم لترويج الفكر العلماني الذي يأبى إلا أن يفسد على العالم الإسلامي إسلاميته ومعتقداته، فبيَن للمرأة سوء النية وخبث الطوية كما أكد لها أن الخير كل الخير في الاتّباع وأن الصون والستر والحجاب ينبغي أن تكون على رأس الأوليات التي يجب أن تحرص عليها المرأة، وتطالب بها وتكون محط نظرها ومطمح نفسها لا القيادة والتبرج وكشف الوجه والمناداة بالمساواة مع الرجل في المناصب القيادية الحساسة والوظائف القضائية والتشريعية.

ووصف من يريدون أن يقذفوا بالمرأة في أخاديد الضلال والفساد بدعوى الحرية والعدالة والمساواة بالذئاب الخاتلة.

يقول من قصيدة طويلة تزيد أبياتها على الستين [١].

قيل في الإعلام قول عن ولي الأمر فينا
فانبرى الأقزام توا في ركاب اللّاهثينا
من مداد الخبث يذكى فكرهم حينا فحينا
ثم قالوها بقول يكشف الرأي الدفينا
.....
إيه قومي في إباء أعلني القصد المشينا
واركبي السيار قسرا رغم أنف المانعينا
صرّح المسئول يوما لن تراعوا لن نلينا
نحن للإسلام حصن في وجوه المغرضينا
أسهم العلمان ترمي دون أرض المسلمينا
.....

(١) انظر موقع: http;/www.glli.com /vbi show th read.php ?ty=19256

يـــا لأختـــي لـــيس يجـــديهم عفـــاف المؤمنينـــا
ثـــم أمـــر لـــيس يخفـــي مـــن نوايـــا العابثينـــا
أن تكـــون المـــرأة الغـــر إمـــام المســـلمينا
أو رئـــيس مجـــالس الـــوزراء يـــا للغافلينـــا
أو ولـــي العهـــد إن كنـــا لـــدون راغبينـــا
أو إمـــام المســـجدين إن فســـدنا أو عمينـــا

ونلاحظ خطاب الشيخ للمرأة المسلمة بلفظة " يا لأختي" ولفظة الأخوة تحمل معاني الغيرة والحرص والحدب في آن واحد، فهؤلاء الغربيين المغرضين ليس همهم عفاف المرأة المسلمة إنما همهم الإرجاف وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا عن طريق السفور بدعوى الحرية والمساواة ويحاول أن يعلي شأنها ويكبرها في عينها وفي نفسها فهي درة مصونة ,ويحذرها أن تكون علكة يمضغها الماضغ ثم بعد وقت يلفظها، لأن العلك لا تدوم حلاوته فيقول .

لن يدوم العلك حلوا بعد حين تلفظينا

وينهي قصيدته بتأكيد حرصه على فتاة الإسلام, وحبه لها وحسرته لما يجري في ساحتها من دعاوي ساقطة ، وأنه صادق النّصح مخلص التوجيه

هذا وإن كنت أرى أن كلمة الرأي في بيته

ثم قالوها بقول يكشف الرأي الدفينا

كلمة غير وافية الدلالة ولو قال يكشف البغض الدفينا لكان أجود وأدل لأن رأيهم في التحرر والتمدين شائع يبّن ظاهر أما بُغضهم فخفي مغلف .

والقصيدة التي بين أيدينا متأثر فيها الشيخ سعود بقصيدة شوقي التي مطلعها :

برز الثعلب يوما في ثياب الواعظينا

ويحاول آخر أن يحيي في الرجل السعودي روح الإباء والشمم التي تربى عليها العربي الأصيل من حرص على حماية حريمه وكل من يجب عليه صونه ورعايته من النساء، ويبين ما لهذا المسلك من خطر عظيم ، على المرأة والرجل والمجتمع على السواء فيقول[1]:

(١)انظر موقع:www.muslm.net/ vb/showth read php? .

يسـرك أن تـرى هنـدا وسـارة ... يلاحقهـا الشـباب لـدى الإشـارة
وتخـرج كلمـا شـاءت نهـارا ... ولـيلاً دون إذن أو إشـارة
وهاتفهـا ورخصـتها بكـفٍ ... وفـي الأخـرى مفـاتيح العمـارة
يسـرك أن يراهـا بنشـري ... وشـحام وشـرطي الخفـارة[1]
تخـالطهم وتقضـي مبتغاهـا ... وقـد رمـت العبـاءة والخمـار
وتقتـنص المهـاة كصـيد غـر ... لـذئب الغـاب أو ضـبع المغـارة
فهـذا يرتجيهـا أخـذ رقـم ... وذاك وراءهـا فـي كـل حـارة
وهـذا يعـرض الخـدمات حتـى ... تـراه البنـت مـن أهـل الشـطارة
وذاك قـد يعاكسـها صـراحًا ... وذلـك بالغنـاء وبالقـذارة
أمـا نخشـى إذا مـا كـان ذاكـم ... عـذاب الله يـا قـومي ونـاره
عبـاد الله فاسـتمعوا كلامـي ... فـإن الشـر أولـه عبـارة
فويـل ثـم ويـلٌ ثـم ويـلٌ ... لأهـل الطهـر مـن أهـل الـدعارة

.

ومن الجدير بالذكر أن رفض رجالات الدولة، ومثقفيها لقيادة المرأة' ، نابع عن غيرة حميمة عليها فالمرأة السعودية ظلت لأزمنة طويلة بل ولوقت قريب مصونة تُقضي حوائجها الخارجية من متطلبات منزلية أو ملابس، يذهب بها للتطبيب والتداوي وما جد على الساحة السعودية هي أخذها لتشتري متطلباتها بنفسها، فسبروا أغوار الموضوع، وفندوا الحجج والأسانيد التي تؤكد رأيهم وبينوا مخاطر القيادة التي على رأسها مخاطر الطريق التي نعلمها جميعًا من مشاكل المركبة نفسها والتي ما إن حدثت في طريق– ما قدر الله– قد ترتبك المرأة ولا تعرف كيف تتصرف وحتى ما إن تصرفت وساعدها بعض الرجال قد يوغر هذا قلب زوجها من جهة وتحدث الفتنة في قلب من في قلبه مرض من جهة أخرى, أضف إلى ذلك ما قد يحيق بها من أذى إذا خالفت بعض القوانين المرورية وما قد يعقبه من الذهاب إلى الشرطة والتحقيق معها[2].

١() البنشري بلغة أهل المملكة هو الميكانيكي بلغة أهل مصر.

٢() انظر في هذا الموضوع مقال الشيخ عبد المحسن بن ناصر العبيكان نشر في صحيفة الرياض الاثنين ٦ جمادي الأولى ١٤٢٦هـ ١٣ يونيو ٢٠٠٥م العدد ١٣٥٠٣٥ .

ومن الجدير بالذكر أيضًا أننا لم نقف في هذه القضية على أثر أدبي يشجع هذه الرغبة من المرأة ويقتنع برأيها ، ولعل مرد ذلك إلى ما قد يلاقيه المؤيد والمشجع من هجوم عنيف من قبل المعارضين، ورميه بصفات يأنف العربي الصميم أن يرمي بها كعدم الغيرة وشدة البلادة ، وقلة المروءة وغير ذلك.

وقد أصدر وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز– رحمه الله –المرسوم الملكي رقم ٥٥٦/٦ لسنة ١٤٣٢هـ بخصوص منع قيادة المرأة للمركبة داخل الأراضي السعودية، وقد نص المرسوم على " معاقبة المرأة بالسجن المشدد لمدة خمس سنوات وسجن والدها أو زوجها نفس المدة، وعلى من يتجاوز القرار القاضي من وزارة الداخلية السعودية يكون معرض للمسئولية وتطبق عليه أقصى العقوبة.

وظلت المرأة تطالب بالسماح لها بالقيادة وتلح في الطلب حتى صدر حديثًا في مارس ٢٠١٢م تصريحًا عن الأميرة سحاب ابنة الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود يقضي بأنه سيصدر قريبًا مرسومًا ملكيًا يقضي بالسماح للمرأة السعودية بالقيادة تقول فيه: " إن هذا الموضوع يعد قرارًا اجتماعيًا ودور الدولة هي ضمان توفير المناخ الملائم لأي قرار يراه المجتمع مناسبًا بما ينسجم مع مبادئ الشريعة الإسلامية وتعاليمها التي ترتكز عليها الدولة[1] .

[1] () صحيفة جازان الثلاثاء ٢٧ مارس ٢٠١٢م

قطيعة الرحم

لا نبالغ إذا عددنا قطيعة الرحم من جملة القضايا التي تمس المرأة في العالم بأسره ، وليس في المملكة فحسب، فقد تفشى هذا الداء العضال واستشرى في كل عضو من أعضاء الكيان الإنساني، وليس وراء ذلك الداء من سبب سوى غياب الوازع الديني عن أذهان الكثير من أبناء المجتمعات– لأنه في ظني– ما من ديانة أيا كان مسماها إلا وأوصت بالنساء خيرًا، بله الشريعة الغراء التي جاء بها محمد ﷺ.

فكثيرًا ما شكت المرأة السعودية جفوة القريب خاصة الأخوة الذكور، ومما لا شك فيه أن المرأة في حاجة – وإن وصلت إلى درجة عالية من المركز الثقافي والمكانة المرموقة في المجتمع – إلى من يصلها و يودها ويقوم على أمرها.

ولو لم يكن لصلة الرحم الشأن الرفيع والشأو البعيد في نفس المرأة وحياتها عامة لما توعد الله تعالى قاطعها بالقطع من جانبه سبحانه:[1] ورغم حساسية هذه القضية ومواراة المرأة في هذا الجانب ، ومحاولة سترها على إخوانها وأبنائها رغبة في أن تظهر أمام المجتمع بالصورة السوية والمبالغة في أي صلة ولو ضئيلة من جانبهم نجد الكثيرات منهن يعربن عن عقوق أقاربهن، خاصة عقوق الأخوة الذكور ولعل تخصيص الذكور يعود إلى كونهم الأقوى فغالبا يكن الأخ يافعًا قويًا بخلاف الآباء الذين يكونوا غالبا قد أصبحوا في طور الكبر والشيخوخة فيعذروا على التقصير إن جاء عنهم ذلك وغالبًا لا يجيء لأن إحسانهم لأبنائهم جبلّة وفطرة,فالمرأة تشعر إذا جافها أحد إخوانها بفقدان جانب مهم من جوانب التوازن في الشخصية والاستواء النفسي,فنجد من بين الشعراء من يشيد بدور الأم الحيوي في

– فقد جاء في الحديث القدسي قولهﷺ.

" إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ : مَهْ ، فَقَالَتْ : هَذَا مَكَانُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، قَالَ : فَذَاكَ لَكِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ { ٢٢ } أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ { ٢٣ } أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا { ٢٤ } سورة محمد آية ٢٢-٢٤ " ، .

أنظر:– شعب الإيمان للبيهقي » الحديث السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ –رقم الحديث ٧٤٤٣

العطاء والبذل بلا مقابل، ويُذكرّ برحلتها الطويلة خلال أيامها حتى تلاقي ربها ، ويتعجب من العقوق الذي يحيق بها من قبل أبنائها وإخوانها وذوي قرابتها[1]. يقول عبد العزيز الرويس:

قفوا مجدوا أمي وأزجوا لها شكري ... ففي حضنها دفئ وفي نطقها سحري

وكم سكبت كأس الهناء لنشئها ... وكم نسجت بُرد التجلد والصبر
يؤرقها خطوي إذا هان في العلا ... ويسعدها سيري المغالب للدهر
أشيدوا بأمي وارفعوا لمقامها ... وها أنا ذا أشدوا أغني لها شعري
عرفت مسير الخير من خطواتها ... **فقوموا إلى عصري وقولوا له بدري**
هي الشمس في ليلي هي الشمس في الضحى ... ضياها هدى سيري يصيرني أمري
إذا صوتها دوى أجاب حماتها ... وقادت إلى العليا وللأجر والفخر
فمعتصم نادته أم قديمة ... فجاوبها جئنا لفكك من قسْر
فما بالها في عصرنا إن تضوأت ... تنام عيونُ والدموع لها تجري

عهدت لنا أما لها الأمر كله ... **لها الطبخ والتخديم والرأي في الأمر**
لها الكنز والتمويل والحلْب والعطا ... وتستقبل العاني وتقري لمستقر
هي الحاطب الآتي من النخل بالجنى ... **هي المرضع الجَذْلى بلا دمعة تجري**
هي الطب والدفئ المديم لبيتها ... **هي العون في سيْر الرجال إلى الفخر**
تشاطر للأزواج جل شؤونهم ... وما عيب هذا في قديم من الدهر
هدى المصطفى في أهله وشؤونه ... هو المنهج المنجى إلى آخر العمر

وقد أكثر الشعراء من تصوير دورها الفاعل قاصدين بذلك تذكير الأبناء بدورها الحيوي وما تكبدته من مشاق على طول دربها لعلها تحظى منهم ببر وود وصلة فها هو عائض القرني يقول أيضا[2]:

بلغوها إذا أتيتم حماها ... إن قلبي على الدوام فداها

١() ديوان حصيد الزمن – عبد العزيز الرويس الأولى بدون تاريخ ص ٢٦٦: ٢٦٨.
٢() ديوان:- القرار الأخير – عائض القرني ط/ العبيكان ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م ص٢٣١.

وصـــلوا قلبهـــا الحنـــون وقولـــوا إن همـــي طـــول المـــدى فـــي رضـــاها
هـــل كســـبنا دعاءهـــا إن لثمنـــا بلهيـــب مـــن الجـــوى يمناهـــا
رب يـــا مالـــك الملـــوك أجبنـــي واجعـــل الخلـــد خـــالقي مأواهـــا
. .

وهذا محمد المشعان يخاطبها قائلاً[1]:

أحبـــك حبًـــا يليـــق بمـــا أضـــاء بـــه الصـــبح فـــي مفرقيـــك
أحـــب حنانـــك حبًـــا لأنـــي أرى أرق العطـــف فـــي ناظريـــك
وتريعنـــي خطـــوات الســـنين ومـــر الزمـــان علـــى وجنتيـــك
أحبـــك أمـــاه مـــن لائمـــي وألـــثم بفمـــي كلتـــا يـــديك[2]
. .

ومما يتعلق بهذه القضية ما يلحق بكثير من الخادمات من الأذى، وسوء معاملة الكثيرات من سيدات البيوت لهن، فقد اعتادت الكثيرات من النساء السعوديات ، خاصة بعد الطفرة الاقتصادية الحديثة وارتفاع مستوى المعيشة. استقدام الخادمات من بلدان كثيرة كإندونيسيا والفلبين وسيريلانك للخدمة في بيوتهن والقيام بأعباء المنزل التي لا تنتهي دون مراعاة لمشاعر الخادمة كإنسانة ولا تكتفي سيدة المنزل بعمل الخادمة في منزلها بل نجدها في كثير من الأحيان تعيرها لأختها أو لأحد أقاربها بعد أن تنتهي من أعباء منزل سيدتها.

وقد ضجت الكثيرات منهن بالشكوى من سيدات البيوت وسوء معاملتهن رغم أن أغلبهن لا يُحسن التحدث بالعربية وعبّرن عن الظلم الواقع علي كاهلهن بطرق شتى , منها إهمال العناية بالبيت حتى تضطر سيدتها لإنهاء عقدها وإرسالها لبلدها, أو محاولة السرقة من سيدتها, أو بطرق أخرى, كالقيام بأعمال السحر لسيدتها أو لأحد أفراد المنزل ,وقد سمعنا بهذا كثيرا, أو عن طريق التمرد على الأوامر والنواهي التي تصدر عن سيدتها.

وقد قرع سمع– غير واحد من الشعراء– أفراد المجتمع لما يقع على كاهل

١() ديوان:– ومضات شعر – مطبوعات النادي الأدبي بالرياض – الأولى – مطابع الشرق الأوسط ١٩٩٠م ص ٢٤٥.

٢( ) الشطر الثاني من البيت الأخير مضطرب في الأصل ونصه :–
وألثم كلتا يديك وقمت بتعديله في متن الصفحة

الكثيرات منهن من ظلم وعنف من قبل سيدات البيوت حتى وجدنا من الشعراء من يتمنى رؤية اليوم الذي تحاط فيه الخادمة بالرعاية والعناية تأكل من مأكلهم وتشرب من مشربهم وإذا أصابها مكروه هبوا لنصرتها فيقول عبد العزيز الرويس[1] تحت عنوان" رؤية مشلولة تحاط بالرعاية:

رأيتها قد أحيطت من أقاربها ... ويدفعون لها بالرفق كالخدم
إذا أتت درجًا هبوا لنصرتها ... وما رأيت بهم شيئًا من البرم
رأيتها تحتسي ما يحتسون هم ... كأنها لم تكن في حالة السقم
وأكلها أكلهم إذ قدموه لها ... حنوا عليها وانهوا دمعة الألم
جو الرعاية أعطاها تمتعها ... بكل شيء وفي جو بلا سأم
يا شرق هذي تعاليم لشرعتنا ... نهج الرسول هُدىً للخير والقيم
وخلتها ترسل التنكيت في دعة ... وأهلها ضحكوا من ريق الكلم
إن [2]أرسلت نظرات نحو أسرتها ... أعطوا لها مثلها في بشر مبتسم
قضى الإله لها عطفًا تحاط به ... فأصبحت في نهار دونما ظلم
لم أنس إذ دخلت "رويال فابتسموا ... وأشعروها الحنا كالهاتن العمم
رأيت هذا بأرض للأولى سُلبت ... هذي بقايا سجاياهم لدى الأمم
أنا الغريب وأعطاني تعاطفهم ... جوًا سرحتُ به في عالم الحلم

وقد أكد الشاعر على منهج الإسلام في معاملة الخادمات عن طريق الإشارة إلى تعاليم ديننا الحنيف ووصايا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم , فالبيت الثالث والرابع يتضمنان حديث الرسولﷺ " إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم[3].

١() ديوان حصيد الزق الأولى بدون تاريخ ص ٣٥٢، ٣٥٣.

٢ تم تعديل الشطر الأول من البيت لاضطراب سياقه في الأصل وهو في الأصل:- وأرسلت نظرات نحو أسرتها

٣() انظر صحيح البخاري – كتاب العتق رقم الحديث ٢٣٧٢.

ثانيا : - الدراسة الفنية

للشعر المتعلق بقضايا المرأة بالمملكة سمات عدة معظمها منبثق من السمات العامة للشعر الاجتماعي بها– لأن المرأة كيان لا يتجزأ من المجتمع– ولعل على رأس هذه السمات:

الواقعية

فالشعر المتعلق بقضايا المرأة شعر واقعي معني بهموم المرأة العربية عامة والسعودية خاصة.

والواقعية هي ذلك " المذهب الأدبي الذي ظهر في منتصف القرن التاسع عشر والداعي إلى معالجة موضوعات واقعية مقتبسة من الأحداث الحيّة أو مأخوذة من الدراسات التاريخية، ووصف البيئة وصفًا دقيقًا وموضوعيًا[١].

والواقعية بمعناها العام الذي استخدمه لها الأدباء والمفكرون العرب المحدثون، " هي ملاحظة الواقع وتسجيله وجعل حياة الشعب ومشاكله مادة للأدب[٢].

وتكمن المهمة الرئيسية للفنان الواقعي في وصف ما يلاحظه بحواسه بدقة وصدق شديدين من غير إهمال لما هو قبيح أو مؤلم ومن غير اطراحٍ للرمزية[٣].

والواقعية من المنظور الإسلامي تعنى بكل ما يحدث في حياة بني الإنسان من تطورات اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية وروحية...

وتصوير هذا الواقع يراعي مكانة الفرد في حياة البشر، ولا يهمل واقع الجماعة، كما يراعي جوانب القوة والضعف معًا في حياة الإنسان فلا يهمل هذا على حساب تلك [٤].

فالشعراء السعوديون قد وظفوا شطرًا كبيرًا من شعرهم لخدمة قضاياه ومعالجة مشكلاته، ولم تمنعهم نظرة البعض إلى المرأة على أنها تابعة قابعة من أن يرفعوا عقيرتهم على من يحاول المساس بها أو التعدي على حقوقها ووقفوا أمام كل

١() المعجم الأدبي– جبور عبد النور الثانية ١٩٨٤م دار العلم للملايين بيروت– لبنان ص ٤١٣.

٢() انظر الأدب ومذاهبه:– محمد مندور – ط نهضة مصر – القاهرة.

٣() الموسوعة العربية العالمية ط مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٩٩٦م ص ٨٢.

٤() من قضايا الأدب الإسلامي د/ صالح آدم بيلو، دار المنار للنشر السعودية جدة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ص ٧٥، ٧٦ .

من يحاول محقها حتى لو كان أبوها أو زوجها أو أحد أقاربها.
فأكدوا أنها عضوٌ فاعل لا ينبغي إهماله، وأبانوا عن حقوقها بل ودافعوا عنها فلم يصوروا المرأة السعودية امرأة من النساء المخمليات هادئات البال ليس لديهن هموم وشواغل بل كانوا واقعيين شجعان في تصوير قضاياها تصويرًا فاعلاً مجسدًا للأدواء واصفًا في كثير من المواقف العلاج الناجع المنبثق من تعاليم ديننا الحنيف.

فقضية مثل قضية العنوسة مثلاً ، أوضحوا أسبابها وأبانوا أن جشع بعض الآباء , والتحضر والتمدين على رأس الأسباب فيها, فالكل يسعى إلى عيشة مترفة، عشه الأسري متكامل البناء فيه من الكماليات ما يغني عنه القليل من الأساسيات وأغمضوا أعينهم عما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه من الاقتصاد والتيسير في المهور.

ولا غرو في ميل الشعراء في هذا الجانب إلى الواقعية " فأغلب شعر المجتمع يدفع بالصورة إلى الواقعية فالحياة الاجتماعية تكوّن الحياة بصورها الذهنية والحسية معًا، وكثير من التجارب الشعورية تسجل حدثًا اجتماعيًا، وتعرضه عرضًا مسرحيًا واقعيًا، فالإبداع يستمد صوره من المشاهدات التي تتولد نتيجة تفاعل الشاعر مع الحدث الاجتماعي، وتلك الصورة الاجتماعية أوحت بالصورة الجزئية والكلية[1].

ويرى أحمد الشايب أن الأديب يجب أن يُعنى بتصوير الحقائق في صدق وإخلاص وأن قيمته الفنية تقاس بقدر ما احتوى من هذه الحقائق، ولكن تصويره لها يجب ألا يكون نقلاً دقيقا بل تمثيلاً وتفسيرًا لها ومهما يكن المراد بالمذهب الواقعي في الأدب فخيرٌ لرجاله أن يعرفوا أن قيمة الأدب تتركز في اتخاذ الحوادث والتجارب وسائل لتفسير قوانين الحياة وطبائع الجنس البشري[2].
ويفرق محمد الصادق عفيفي بين الواقعية الحقيقية، وبين الواقعية الفنية في الأسلوب فالواقعية الحقيقية هي التي تعكس الواقع كما هو بمختلف طبقاته، أما الواقعية الفنية، فإنها تنأى بجانبها عن لغة الحديث الدارجة، لأنها تمثل خلق الكاتب ونتاج منه فالواقعية الحقيقية هي التي تبرز في أدب الأديب، صراع

١() الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية – د مسعد العطوي ص ٤٦٢.
٢() أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب،– مكتبة النهضة المصرية– العاشرة ١٩٩٤م ص٢٤١.

الطبقات، والقوى المتناقضة في المجتمع[1].

فكثيرا ما سبر الأدباء أغوار الأنثى فتحدثوا بلسانها وعبروا عن حالها، فقد طال بها الأمد في انتظار فارس أحلامها والأب على ما هو عليه من التعنت والمغالاة في مقدار المهر حتى طفقت تطالبه بالتلطف والقصد فهذا الشاعر عبد الله الزامل يدير حوارًا بين بنت– تعاني التعنت من أبيها– وبين أمها فيقول:

أمـــــي قـــــولي لأبـــــي يكفـــــي التعنـــــت والجشـــــع
قـــــولي لـــــه أن يرعـــــوي مـــــاذا يفيـــــد مـــــن الطمـــــع
هـــــل قصـــــده يبيعنـــــي إذ لـــــيس يقبـــــل مـــــا دفـــــع

.

وتجيبها الأم قائلة:

تمهلـــــــــي بنيتـــــــــي إنـــــي أحـــــاول إن قنـــــع
إنـــــي أرى يـــــا مهجتـــــي مـــــاذا يقـــــول ومـــــا صـــــنع

وقد عبر الشاعر عن الفكرة بالأسلوب التقريري واللهجة العادية والمعالجة المألوفة فشعر قضايا المرأة تنطبق عليه كل سمات الواقعية من حيث المضمون والأسلوب والشكل و الصورة فهو ذا محتوى ثوري يناضل أصحابه من أجل حرية الإنسان العضوي

الأسلوب القصصي

من سمات الشعر المتعلق بقضايا المرأة أيضًا غلبة الأسلوب القصصي عليه, وقد استعان الشعراء بالأسلوب القصصي في إبداعهم ليصوروا الحياة الاجتماعية بشرائحها المختلفة، فالشاعر يصور تجربته في حكاية يسردها سردًا عفويًا أشبه بالحكاية النثرية والقصة القصيرة المعاصرة التي تعمد إلى الوضوح والسرد[2].

وقد وقف الأدباء على دور القصة البارز في التأثير على المتلقي وحمله على المتابعة لما يحويه من عنصر التشويق والإثارة فوظفوها في معالجة العديد

١() النقد التطبيقي والموازنات محمد الصادق عفيفي مؤسسة الخانجي بمصر ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م ص ٢٢٨.

٢() انظر الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية ٤٧٣.

من قضايا المرأة.

ويعتمد الأسلوب القصصي على التصوير والوصف في الدرجة الأولى وفي التصوير يعني الكاتب أو الشاعر برسم الأشخاص، وفي الوصف يعني بإبراز الأصوات، ويميل هذا الأسلوب إلى السهولة والوضوح وينأى عن التعقيد والغموض ويتلون بتلون المواقف.

وقد توفر – كما أشرنا من قبل في كثير من القصص المتعلقة بقضايا المرأة الكثير من مقومات القصة الشعرية من الحدث المتنامي المترابط الأجزاء ومن الشخصيات الحية وقد تحقق في شخصيات القصة القصيرة عندهم – محدودية العدد وهذا ما تقوم عليه القصة القصيرة والعلاقة بين الشخصيات وبين الحدث علاقة قوية فبالشخصيات تتضح دوافع الحدث ، ومن خلال التتبع يمكننا أن نقول: " إن الشخصيات في القصة السعودية لها وجود فني يتشكل داخل العمل القصصي بما يوهم بواقعيتها لتكون قادرة على الإقناع".

كما أن هناك إحكام للربط بين عناصر الأحداث في القصة, فقد كان عنصر التشويق هام جدًا في بناء الحبكة القصصية[1],وقد حرص الشعراء على إيجاده في أعمالهم القصصية وضرورة احتوائها على نقطة تتشابك عندها الأحداث وتتعقد مما يسترعي انتباه القارئ ويدعوه إلى المتابعة حتى تنتهي القصة وهذا ما وجدناه باديا في كثير من أعمالهم من ذلك قصيدة من مآسي المعددين لناصر الزهراني وقصيدة باعطب والتي مطلعها

قالوا السعادة أن تعاشر زوجتين تقضي الحياة منعمًا وقرير عين

وقصيدة أحمد النعمي التي مطلعها

لن يراني بعدها لن يراني طالما عاش عابثًا بودادي

وقصص قضايا المرأة متنوعة الشخصيات والأجناس والأنواع والمشارب والسمات فمنها الشاب والرجل والمرأة ومنها الأطفال ومنها الشعراء ففي بعض القصص يعلو صوت الشاعر واصفا ومحللا مصورا حكم الحاسم على الشخصية كما شاهدنا عند عبد العزيز الرويس والتي يصور فيها شكوى زوجة صدور زوجها والتي يقول فيها

١() الأدب العربي الحديث محمد صالح الشنطي دار الأندلس للطبع والنشر حائل ص ٤١٢.

شكت لي صدود البعل عنها وقد بدت

كسيرة بالٍ تندب العزَّ والإدنا

وكانت إذا جاءت يطير بها الفتى وتؤنس ناديها وكم طردت حُزنا
فديتك يا هذا تعز مكانها فقد تعبت بالهجْر إذ قلبها حُنَّا
أيرضيك أن تُمسي الرشيقة عالة وبالمنزل المهجور يا حَسْرَة الحُسنا

وفي كثير من القصص نجد ان الشاعر يترك الشخصية تتحدث عن نفسها وتعبر عن مشاعرها الذاتية باقوالها وافعالها وطبيعة وجودها في القصة دون تدخل من الشاعر وهذه يطلق عليها الطريقة غير المباشرة وهذه الطريقة هي الغالبة على العمل الشعري كما في قصيدة احمد النعمي

عاد ليلاً في حيرة واضطراب وبأعماقه صفات الذآب
قال: من أنت؟؟ يا: وشد ذراعي ورماني أرضًا وشق ثيابي
وبلطف دافعته .... فتهاوى فاقد الحس، خائر الأعصاب

وقصيدة عبد الغني التميمي

.

أنا لو عرفتم قصتي وتجاربي لرحمتم حالي لهول نوائبي
تاهت خطاي على دروب عواطفي وتحطمت للعاتيات قواربي

وكما في قصيدة العشماوي والتي مطلعها

يا بائع المعطوز بالعرق
بيني وبينك مثل ما بين السلامة والغرق

وقد يسلك الشعراء الطريقتين معا فيعطى صورة عامة محملة عن الشخصية الرئيسية في القصة بطريقه مباشرة ثم ينطق الشخصية ذاتها بما يكمل ملامحها ويفصل دقائقها وخصائصها ويعبر عن اعماق نفسها كما في قصيدة عبد الله المغتاز والتي مطلعها

جاءت بحرقة قلبها وأساها فات الشباب وضاع كل رجاها

فخده يصور المراة كئيبة حزينة بئيسة فارقت طور الشباب ومما لا ريب فيه ان التشخيص شخصياته بصفات معينة اهمها الواقعية

ويعلل إبراهيم الفوزان لغلبة هذا المنحى عند شعراء الحجاز بقوله[1]: " إن المطّلع على شعر الحجاز يجد سمة تكاد تكون عامة لديهم وهي إكثارهم من الأسلوب القصصي في شعرهم ..... ولعلهم أرادوا أن يعتاضوا بهذه السمة الفنية عن الوحدة العضوية التي يصعب على بعضهم تحقيقها في شعره الاتباعي.

والقصة الشعرية هي التي تقدم لنا الحياة شعرًا, والرؤية والحدث والشخصية والعالم شعرًا, فالشخصية تنطق بالشعر، ليس في إطار نظم ما يمكن أن يقال بالنثر, وإنما في إطار تعبيرها عن نفسها وعن عالمها المتميز شعرا[2].

إن من مزايا القصة الشعرية_كما يرى عثمان الصويع _,أنها تسهل على الشاعر و الاسترسال ومتابعة الموضوع بسهولة دون انقطاع في الأفكار حتى ينه الموضوع الذي قصده وهذا النوع من القصائد تتوفر فيه الوحدة العضوية ولولم يقصدها الشاعر إلا إذا أخل بنظام القصة.[3]

ويسفر القصص المتعلق بقضايا المرأة عن رؤية واقعية كما يبرز الروح السعودية المعاصرة يتضح ذلك من استخدام اللغة المحلية في كثر من المواضع، وقد لعب الحوار دورًا هامًا في التصعيد للتوتر النفسي لدى الشخصيات حيث غيظ الزوج وحنق الزوجات في قصيدة أحمد سالم باعطب " زوج اثنتين"، وحيرة ذا اللب بين الزوجتين في قصيدة ناصر الزهراني " من مآسي المعددين" والألم النفسي في قصيدة "صرخة عانس" لعبد الغني التميمي.

ويقول محمد صالح الشنطي عند حديثه عن القصة الشعرية في السعودية وحسبنا أن نشير إلى أن القصص الاجتماعية هي أكثر أنواع القصة الشعرية وفرة وأنها تهدف إلى الإصلاح، ولذا فإن معظم الشعراء يقحمون العظة إقحامًا والنزعة

١() الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد د. إبراهيم بن الفوزان د الثاني ص ٨٠٤ الطبعة الأولى مطبعة المدني، ١٤٠١هـ – ١٩٨٩م.

٢() موسيقى الشعر العربي – حسنى عبد الجليل ص ١٥٨.

٣ () انظر حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصرالأولى١٤٠٨هـ جـ٢ صـ٥٠٨

الإنسانية واضحة عند معظم الشعراء بالحادثة والموقف وبالتصوير للشخصيات والجو العام وبتحليل المواقف المتعددة وبتصميم البناء ولكنها تظل دون المستوى[1].

1() الأدب العربي الحديث –ط– الرابعة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م دار الأندلس للنشر والتوزيع حائل ص ١٧٨.

الأسلوب الحواري

الأسلوب الحواري لون من ألوان الأداء الفني، وأداة من أدوات التعبير يلجأ إليه الشاعر للتعبير عن فكرته بطريقة مثيرة ، وكلما كان الحوار سمحًا طبيعيًا عفويًا كلما استجاد في موضعه وحسن في موقعه(١).

وللحوار دور فاعل في جذب المتلقي ونفي السآمة عنه إذ ينزع فيه الأديب من أسلوب المتكلم المباشر أي من الصوت الواحد إلى التعبير عن صورتين متقابلتين(٢).

وقد احتل الحوار مساحة واسعة من الشعر المتعلق بقضايا المرأة في السعودية وقد تنوع مدلوله والغرض منه.

ومما لا شك فيه أن إيقاع الحوار أميل إلى السرعة من إيقاع أسلوب السرد لاعتماده– بالدرجة الأولى– على عنصر الحدث الذي يحمل بطبيعته أسئلة وأجوبة " فحينا نجده يكشف عن ألم الشاعر وعمق أساه كما في قصيدة أحمد باعطب وما أداره من حوارٍ بين الزوج وزوجته والذي يقول فيه:

أي شـــيء ينبـــي بأنـــك حقًـــا بلغـــت الأمجـــاد باســـتحقاق
فأجبـــت أمـــا علمـــت تكاليـــ ـــف زواجـــي أو ارتفـــاع صـــداقي
فلأعـش ليلتـي وإن عـاش زوجـي فـــي قيـــود الـــديون والإمـــلاق
ذاك أنـــي كزهـــرة فـــي جمـــالي أنتقـــي مـــن نفـــائس الأســـواق

. .

فالحوار يكشف عن البعد النفسي والشعوري وحالة الكآبة التي تسيطر على الزوج والتقاليد البالية التي لا تزال تجثم على صدر شريحة اجتماعية ليست بالقليلة بالمملكة تتغنى وتفخر بارتفاع صداق بناتها .

وحينا يأتي ليؤدي دوره في التجسيد للكثير من مواقف المعارضة والتعبير عن المجادلة والمحاجة لكلا المتحاورين قصدا لإيضاح الموقف وتقريرا للحقيقة وانعكاسًا لواقع الحياة اليومية في كثير من الأوساط الأسرية، فنجد أن لغة الحوار في مثل هذه المواقف تسهم إلى حد كبير في تطور الحدث وتنامي الموقف

١() الحوار في القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي. سيد عمارة الأولى ١٩٩٥م ط. التركي بطنطا المقدمة ص أ.

٢() السابق ص– ب.

وتصوير الواقع.

يبدو ذلك جليًا في حوار أحمد باعطب لزوجته في إصرارها على استقدام خادمة[١] وحوار أحمد النعمي لزوجته في معارضتها في ذهابه إلى المصيف مع أصحابه[٢] .

وقد مال بعضهم إلى تقنية الحوار الداخلي ووظفه في شعره , فكان يحاور نفسه عندما يجد حاجة ملحة لذلك , نتيجة الصراع الداخلي الذي ألم به فيلجأ إليه لتصوير وتقديم الحالات النفسية التي تكون في وعيه الخاص وحيث لا يصلح للحوار العادي التعبير عنها إذ أن مادتها تعد من أسرار النفس وخفاياها, كما في حوار باعطب لنفسه ليلة عرسه وإفضائه بهمومه وديونه والتي سار على إثرها أرقا مسهدا والذي يقول فيه:-

باتت تغط وبت رهن شجوني أحصى بأنفاس علىَّ ديوني
نامت وطيب العيش ملء جفونها والحزن يجرح بالسهاد جفوني
ياليتها تدري ويدري أهلها بمصيبتي بعد الزواج وهوني
قد كنتُ أحلم بالزواج حديقة غناء من ورد ومن نسرين
يجري بها نبع السعادة سلسلا ويظلها ساقي الرضا يسقيني
يا زوجتي إنا ضحية عادة نكراء لم تحسم بنصح أمين
يا زوجتي إن الحياة مريرة لن تنعمي زمناً لديَّ بلين
سنظل نحزم بالكفاف بطوننا نقتات من خبز ومن زيتون

وكما في قصيدة عبد الله الشبانة والتي مطلعها

نهدي يسائلني لمن أنا أكبر ؟ وتقول لي عيني لمن أنا أنظرُ

ويرى سيد عمارة أن الشاعر حين يلجأ إلى الحوار في نماذجه الشعرية ليحقق من ورائه هدفًا ما ، متجاوزًا بذلك القوالب المعهودة في القصيدة العربية والتي تتسم بالرتابة والسرد التقريري، يعني تمكنه من فنه ومقدرته الشعرية المتمثلة في تلك الصياغة الأسلوبية والتي تبرز من خلال ثورته على الأشكال التعبيرية الموروثة التي يدور الشعراء في فلكها[٣].

---

١ - انظر مبحث :-التقليد

٢- انظر ما قيل في تسلط الزوج البحث.

٣() الحوار في القصيدة العربية ص ٣٧.

ولا شك أن الشعراء السعوديين قد حببوا الحوار إلى الناس بأن جعلوه يجري على ألسنة أصحابه أنفسهم كل بلغته التي تناسب موضوع حديثه .

الخطابية

إن الشعر المتعلق بقضايا المرأة يميل إلى الخطابية والتي من صورها الحوار والأساليب الإنشائية، فهو شعر عالي النغمة ذا جلبة وضجيج.

وقد لفتت ظاهرة الخطابية في العمل الشعري نظر كثير من الدارسين للأدب السعودي فهذا سعد الهويمل يقول مشيرًا إلى شيوع الخطابية في التعبير الشعري: "ولقد تمكن بعض شعراء الجيل الحديث من تطويع المفردة الملائمة للحالة الشعورية بالإضافة على أدائها المعنوي السليم على أن الصخب الخطابي والتقريرية والمباشرة والتسطيح الفكري والموضوعي... وجد طريقه إلى كثير من الشعراء الشباب ويرجئ ذلك إلى الواقع المؤلم والمعاناة الممضة الناتجة عن عنف المواجهة وتجاوزات الاستعمار وتحدياته، ثم القلق النفسي والفكري الذي يعتري كثيرًا من الشباب.....ثم يقول بعد ذلك :- وهذا سبب رئيسي في تحويل التعبير الشعري إلى ممارسات خطابية عنيفة ؛ لأن المواجهة الحسية مع الخصم لا تحتمل الهمس والإيحاء ، وتدثر المفردة تحت ظلال وارفة من الهدوء والسكينة.

فالشعراء الذين تعرضوا لقضايا المرأة السعودية مثلوا الخطابية بكل ما لها من صخب ونزق واستخدامات مناسبة كالأمر والنهي والاستفهام، والإنكار والوعد والوعيد(١).

وهذا مسعد العطوي يؤكد جنوح الشعراء السعوديين إلى الخطابية في قوله: "وطالعنا الشعر من بداية الحكم السعودي بحلل تميل إلى الخطابية وتنأى عن وصف الألفاظ ، بل يتمنى الشاعر كما من الكلمات لتستوعب الفكر الجديد، والمنبعث من الحياة الجديدة الداخلية والخارجية فانحسرت المحسنات البديعية انحسارًا كبيرًا(٢).

والأمثلة على شيوع الخطابية في الأسلوب أكثر مما يحصيها العد،و يكفي المطلع قراءة أي قصيدة من قصائد البحث ليقف على صحة هذه الظاهرة و نجتزئ هنا بما يلقي الضوء على ما نقول فهذا صالح الوشمي يخاطب المرأة المسلمة محذرًا من التقليد والسفور قائلاً(٣):

١() انظر النزعة الإسلامية في الشعر السعودي الحديث – حسن الهويمل– صـ ٥٠٠.

٢() والشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية . فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ص ١٤١٧هـ ص ٤٠١.

٣() ديوان حديث النهر – صالح الوشمي – جمع عبد ا لله صالح الوشمي الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م. فهرسة

صـوني الجمـال وكرميـه عـن التبـذل والمجـون
فالـدّر محبـوب وفـي الأصـداف أغلـى مـا يكـون
والحسـن يـا للحسـن ، يبـرزه التحضـر مـن عـرين
وجــلاه مكشــوفًا قريبًــا مــن فضــول النــاظرين
والصـدر ينشـر ليلـه والبـدر يشـرق فـي الجبـين
هــذي المظــاهر للتقــدم يــا لهــول الفــاتنين
قــد ســاءني التقليــد فيهــا يــا فتــاة الفــاتحين
حــواء يــا أختــاه مــا هــذا بــنهج الصــالحين
لا يخــدعنك ســفورهم أمــلاه كيــد العــابثين
أدنـي الخمـار علـى الجيـوب يصـد عنـك الطـامعين
والبيـت حقلـك فازرعيـه الحـب فـي عطـف ولـين
والطفــل رهــن أمانــة أنتــي لهــا نعــم الأمــين
ربيــه فــي مهــد الطفولــة فــي بيــوت المســلمين
أنتــي الأســاس لأمــة يرجــى لهــا نصــر مبــين
الدين أعطاك القياد فكرميـه في البنـين

وانظر إن شئت إلى قصيدة عبد الله الحميد والتي مطلعها [1]

أللقفر صارت تستزاد مهور أم الـربح فـي طـول الفتـاة وفيـر

وقول سلطانه السديري[2]:

مــــاذا جــــرى الشــــمع ذاب طــــال انتظــــاري يــــا صــــباح

ويرى محمد الصادق عفيفي أن موسيقى الأسلوب الإنشائي هي التي جذبت الشعراء إلى اعتناقه والنسج على منواله.

وقد يستهل الشاعر بعض قصائده بالإنشاء ليلفت إليه المخاطب كما في

مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض رقم الإيداع ٥٣٤٢/ ١٤٢٧ ص ٨٤.

(١) انظر مبحث العنوسة.

(٢) انظر مبحث العنوسة.

قصيدة أحمد النعمي:

محبـــوبتى يـــا زوجتـــي الثانيـــة يـا فرحتـي فـي العمـر يـا غاليـة
مـن أجلـكِ اشـتقت لهيـب الضـنى وفيـك عانيـت الخطـى القاسـية

.

ورغم سيادة الأسلوب الإنشائي نجد في كثير من المواضع يفرض الأسلوب الخبري نفسه على العمل الشعري.فهذا باعطب يخبرنا عن الأسباب التي دعته إلى الزواج من ثانية في أحد عشر بيتا كان مطلعها قوله:-

قـالوا السـعادة أن تعاشـر زوجتـين تقضـي الحيـاة منعمًـا وقريـر عـين
أنـى اتجهـت فهـذه مـن شـوقها تهـدي إليـك وتلـك باسـطة اليـدين

ومن الجدير بالذكر أن الأسلوب الخبري جاء منسجمًا مع الفكرة دالاً على شعور الشاعر .

اللغة والأسلوب

مما يلفت النظر في الشعر المتعلق بقضايا المرأة في السعودية سهولة لغته ووضوح ألفاظه، وقد ربط النقاد قديمًا بين اللغة واتجاه الشاعر فهذا أبو العتاهية يقول عند حديثه عن سهولة لغته " فالصواب أن تكون ألفاظه مما لا يخفي على جمهور الناس مثل شعري، ولا سيما الأشعار التي في الزهد وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء، وأصحاب الرياء (كذا) والعامة، وأعجب الأشياء إليهم ما فهموه[١].

وقد لاحظ الكثير من دارسي الأدب السعودي هذه الظاهرة فهذا عبد العزيز محمد الفيصل يقول عند حديثه عن التجديد في اللغة وفي التركيب في الشعر السعودي الحديث[٢].

"ومن أول ما نلحظ في تجديد في اللغة في شكل الشعر هو التجديد في الألفاظ والتراكيب فجزالة الأسلوب المبنية على قوة الألفاظ، ومتانة التراكيب لم تعد

١() الأغاني:- طبعة بولاق:- ج ٣ ص ١٦١.

٢() مع التجديد والتقليد في الشعر العربي الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م مطابع الفرزدق التجارية – الرياض ص ١٤١.

مطلبًا لشعراء المهجر ومن سار على نهجهم بل اندفع هؤلاء إلى البحث عن الألفاظ السهلة الرائقة والتراكيب الخفيفة على السمع إذ لم يعد الشعر يَعُد للإلقاء وحده وإنما يُعدّ للنشر في الصحف والقراءة فرنة الكلمة في الأذن ليست مطلوبة ووقع التركيب في نفس المستمع لا يدل على مهارة الشاعر وإنما اندفع الشعراء إلى الألفاظ التي تخدم شعرهم والتراكيب التي تؤدي معانيه وهذا هو السبب في شيوع هذا النوع من الألفاظ والتراكيب"

ويقول في موضع آخر مشيرًا إلى تدني المستوى اللغوي عند الشعراء وميلهم إلى السهولة اللفظية التي قد تؤدي إلى الركاكة أحيانًا.

"وقد استمرأ الشعراء العرب سهولة لغة الشعر فأصبحوا لا يكلفون أنفسهم مشقة في البحث عن الألفاظ الملائمة للشعر أو التراكيب المتسمة بالمتانة، وإنما أخذوا لغة الشعر من اللغة اليومية المألوفة للخاصة"(١).

ويقول حسن الهويمل عند حديثه عن قدرة المتفوقين من جيل الشباب السعودي في التعامل الجيد مع اللغة،:-" وكل ما يمكن أخذه على المتمكنين أو على بعضهم اتجاههم في اللغة اتجاهًا واقعيًا، وذلك باستغلالهم لمعجم التخاطب اليومي لا المعجم اللغوي الذي كاد يستهلك شعراء الريادة، رغبة في تقريب الشعر إلى العامية، وهذا أوقع الكثير فيما يشبه عامية التراكيب، مما نزع عن الشعر بهاءه ورونقه وربط لغة الشعر بلغة الحديث العادي، ولم تعد حافزة إلى التأمل، ولكننا مع هذا نعرف لهم خصوبة الخيال والقدرة على نقل الكلمة السوقية في كثير من الأحيان إلى لغة مطلوبة" (٢).

ويرى مسعد العطوي أن هناك علاقة وثيقة بين الموضوع واللغة " فالشعر الاجتماعي باعتباره منبثق القضايا من المجتمع بكل ما فيه من أطيافٍ وطبقات يجنح إلى اليُسر في اللغة وسهولة اللفظة– والتركيب فيقول:

"وجل الشعر الاجتماعي في المملكة – تأثر بواقعه، فهو استمداد من المشاهدات اليومية، وحوادث عامة تقع لكل فرد، أو من كل سائر في طريقه، والشاعر يقف عند هذه وقفة سريعة لا تأمل فيها، ومن هنا تأتي ألفاظه وتراكيبه من أقرب الموارد لمشاكلة المضمون، فالوضوح واليُسر ، والألفاظ الشائعة، والتراكيب الواضحة –

١() السابق ص ١٤٢.

٢() النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، د/ حسن بن فهد الهويمل مطابع النشر العربي الرياض ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م ص ٥٠١.

خاصية من خصائص الشعر الاجتماعي لا سيما المستمدة من الحياة الشعبية، والشعر في المجتمع يخاطب عامة الناس من الشعب، فلا ضير على الشاعر إذا التمس أقرب الموارد كيما ينال إعجاب الناس ولكي يستوعب مضمونه مباشرة فهم لا يقفون طويلاً للتدبر والتأمل(١).

ويرى أن هذه السهولة اللفظية والتركيبية هي الأفضل لأنها مناسبة للمقام فيقول: " وهذا الشعر يخاطب أفردًا فمن الأفضل وما يناسب المقام مخاطبتهم بما يدركون فهو يخاطب امرأة في مكافحة الأمية أو فتاة في مرحلة الطلب أو شبابا ناميًا أحوج ما يكون إلى الإثارة والحماسة.

ولا معنى – بما يؤيده الواقع– لهذا التلمس من الدكتور مسعد؛ لأن أهل الجزيرة مجبولون على الفصاحة وقوة اللفظ فلا يضير المتلقي فهم ما يبدعه المنشئ باللغة الفصيحة والأسلوب الجزل. والأقرب إلى الصواب في هذا الموضع أن نقول بتدني المستوى اللغوي عند المنشئ بسبب قلة زاده من الثقافة اللغوية الموروثة وقلة العناية بشعره ومعاودة النظر فيه والحرص على تنقيحه بدليل أننا نجد من بين شعراء العصر من يؤثر الفصحى وينظم على النمط الموروث رغم حداثة نشأته كعبد الله الحميد وأحمد باعطب وغيرهما.

فهذا عبد ا لله الحميد يقول في مغالاة الآباء في مهور بناتهن:

أللقفر صارت تستزاد مهور	أم الربح في طول الفتاة وفير
ومن لشباب يطلب الستر تائها	على هامش الشوق البريء يسير؟
ألا أيها الآباء والخطب فادح	أما هزكم نحو الشباب شعور
أما تقبلون الشهم صهرًا مناسبًا	وترضون فيه الدين فهو غيور
لتسعوا لحفظ العرض من غير مطع	فذاك على جل الشباب عسير
ولاتجعلوا عرض الفتاة كسلعة	يزيد بها التجار وهي تمور
فتمضي على العذار سنين مريرة	بها تعنس الآبار ثم تبور
فكم من فتى يرعى النجوم مسهدا	وكم من فؤاد بات وهو كسير
وكم كاعب في بوتق البؤس أيمت	فأذبل فيها الحسن وهو نضير

. .

وهذا باعطب يقول في إكراه الفتاة على الزواج:

١() الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية ص ٤٢٤.

غرقـــت فـــي حمـــاة الإذلال شـمس العصـور كريمـة الأجيـال
بيعـت بأسـواق النخاسـة مثلمـا بيـع الرقيـق بـأرذل الأمـوال
زفـت إلـى الجـلاد قاتـل أختهـا وعفافهـا مـدمي مـن الإذلال
زفـت وسـوط الهـون يفـري عزهـا ورغابهـا موثوقـة الأغـلال
وتـراقص العـذال ليلـة عرسـها طربًـا لذلـة ربـة الإجـلال
حرقـوا كرامتهـا بنـار حقـودهم ومشـوا عليهـا مشـية المختـال
وعلـى الرصـيف تشـنجت أخواتهـا مشـلولة الحركـات والأقـوال
صـرخاتها الصـماء ميتـة الصـدى وجهـادهن ممـزق الأوصـال
وعلـى طريـق النصـر يلهـث خطوهـا يجتـر مـن وهـن ومـن إعـلال
تقتـات مـن خمـط الحيـاة وترتـوي مـن قيئهـا وتتيـه بالأسـمال
. .

فهو يصور الفتاة ليلة زفافها بصورة موحشة بشعة فما زفافها إلا سوقا إلى الجلاد.

ولم يقتصر الأمر على السهولة اللفظية وحسب بل تسربت العامية واللغة الدارجة إلى الشعر.

ويشير حسن الهويمل إلى هذا الداء العضال قائلاً:

"ومما يتصل بحديثنا عن اللغة والأسلوب تسرب المفردة العامية والتركيب فهو كثير في الشعر الحديث لأسباب عدة من أهمها الجهل والغفلة وتتبع خطى المجددين ولا يكاد يخلص فيه شاعر من شعراء الحداثة. والشيء الذي نخشاه استفحال هذه الظاهرة نتيجة الضعف في اللغة وشيوع ذلك في كل الأوساط أما التوجه رغبة إلى العامية فأمر لم يعد بذي بال لأن العرب أكثر تمسكًا بلغتهم من هذا الزيف الرخيص[١].

ومن نماذج تسرب العامية إلى الشعر قول عمر يوسف عبد ربه وهو يقدم بين يدي الأزواج بعض الوصايا للحيلولة بين الزوجة وبين نشوزها و تركها منزل الزوجية فيقول[٢]:

اجعـل طريقـك فـي حياتـك واضـحًا مـن غيـر مـا " لـف ولا دوران"

١() النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر.د/ حسن بن فهد الهويمل من ص ٥٠٨: ٥١١.

٢() لطائف الشعراء. ناصر الحميدي الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – الرياض ص ١٩٥ ، ١٩٦.

واربط جروحك (عالنظيف بشاشة) مــن دون مــا هــرشٍ ولا حككــان

واجعــل كلامــك (للحبيبــة) رائقًــا فـإذا (زعقـت) فقـد غـدوت الجـان
فتراهـا تـذهب بيـت أمهـا وجههـا[1] (ملــوي) شــمالاً دونمــا اســتئذان
.....
مــن أجــل هــذا خــل بالــك واســعًا واتــرك خصــامًا يــأت بالــدوخان
واجعـل حـديثك (جـو) بيتـك سـاعة جــدا وآخــر ماســحًا بــدهان
لمــا تريــدك أن تحضــر غرفــة غيـر التـي جـاءت بـألف ضـمان
أو أن تنجــد غرفــة غيــر التــي لــم يمــض عــام ســويت لقــران
فيحــق وقتــك أن تولــول هائمًــا ومعــاك حــق أن تُصــب بجنــان
لكـن (برضـك) خـل عقلـك حاضـرًا واجعــل كلامــك ماططــا كلبــان
كــل الــذي أوضــحته هــو حاصــل فــي كــل بيــت حاليًــا (برهــان)
واختــر لنفســك مــا تحــب فــإنني أظهــرت وصــفًا مــاثلاً لعيــان

والشاعر كما هو ملاحظ يحاول أن يتخلص من الحرج بالتقويس على الكلمة أو التركيب العامي.

وارجع –إن شئت –إلى قصيدة عبد الله سعود الصقري مؤثرًا العامية في الأداء والتي تصل إلى حد الركاكة[2].

والأمثلة على شيوع العامية في ديوان الشعر السعودي كثيرة ومن أراد الوقوف على المزيد من النماذج فليطلع على كتاب ناصر الحميدي " لطائف الشعراء"

ورغم تسرب العامية وإيثار السهولة اللفظية في التعبير فقد كانت ألفاظهم مستجابة لحرارة عواطفهم، فهي معبرة تعبيرًا حقيقيًا عن نفوسهم الثائرة ناقلة مشاعرهم الصادقة ، تجاه الحدث أو التجربة عاكسة حالاتهم النفسية

اقرأ معي قول أحدهم محذرًا من قيادة المرأة للسيارة[3].

---

(٣) الشطرغير مستقيم النظم

٢() انظر لطائف الشعراء والكتاب– ناصر محمد الحميدي ط الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م الرياض ص ١٢٨.

(٣). انظر موقع.....www.muslm.net/ vb/showth read php?

يسـرك أن تـرى هنـدا وسـارة ... يلاحقهـا الشـباب لـدى الإشـارة
وتخـرج كلمـا شـاءت نهـارا ... ولـيلاً دون إذن أو إشـارة
وهاتفهـا ورخصـتها بكـفٍ ... وفـي الأخـرى مفـاتيح العمـارة
يسـرك أن يراهـا بنشـري ... وشـحام وشـرطي الخفـارة
تخـالطهم وتقضـي مبتغاهـا ... وقـد رمـت العبـاءة والخمـارة

فهـذا يرتجيهـا أخـذ رقـم ... وذاك وراءهـا فـي كـل حـارة
وذاك قـد يعاكسـها صـراحًا ... وذاك بالغنـاء وبالقـذارة
أمـا نخشـى إذا مـا كـان ذاكـم ... عـذاب الله يـا قـومي ونـاره

وقصيدة عبد السلام حافظ – لا يا فتاة الشرق([1]).

وقد ربط البعض بين الأسلوب الذي يميل إليه الشاعر وبين اللفظة,منهم حسن الهويمل الذي يقول عند حديثه عن حسن الصيرفي,[2] " والشاعر حسن الصيرفي يميل في شعره الاجتماعي إلى الفكاهة مما يحمله على استعمال المفردة العامية ويعدُّ رفضها من الجمود اللغوي.

ويقول في موضع آخر عن أسلوب الشعر الاجتماعي عامة " وأسلوب الشعر الاجتماعي يتسم بمباشرة الدلالة ووضوح المعاني، وبساطة الصياغة، ويظهر فيه التركيب النثري المعتمد على الحقيقة والخطابية مما قلص الصورة الموحية والتركيب الشعري الأخاذ وهذه الخصائص الأسلوبية التي تبدو في مثل هذا اللون من الشعر حملت دعاة الجمالية في الأدب على الوقوف في وجه المطالبين بتوظيف الشعر لخدمة الحياة حفاظًا على سلامة الأداء الأدبي من الوقوع في النظم وخروجه عن أدق خصائص الشعر.

وهو يلتمس العذر للشاعر على هذه المآخذ إذ أن الموضوع يحتم على الشاعر ويجذبه إلى نسق معين فيقول : وحين نعرض لمثل هذه المآخذ لا بد من الإشارة إلى أثر هذه الموضوعات على أسلوب القصائد، فالشاعر هنا شاعر فكرة

---

[1] ( ) انظر مبحث الحجاب والسفور

[2] () النزعة الإسلامية في الشعر السعودي الحديث والمعاصر ص ٥٠٩ نقلاً عن شعراء من أرض عبقر ج ١ ص ٩٤.

وصاحب قضية يهمه في الدرجة الأولى أن يرسخ مثلاً ومبادئ وليس بشاعر وجدان يسبح به الخيال في آفاق رحبة وعبء هذه المسؤولية يشد الشاعر إلى النظم ويميل به إلى النمط الوعظي[١].

كما شاع في شعرهم المعجم الديني بما يحويه من ألفاظ إسلامية كلفظة الرب ,والرشوة, و المأوى ,والخلد ,والخالق, و المولى, والرضا ,والعذاب ,والنار, والدين, ولا غرو فالمجتمع جميعه مسلم متشبع بقيم الإسلام متأثر بألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف إلى حد بعيد .

ونجد في شعرهم غير قليل من الألفاظ العصرية ككلمة جيمس وهي اسم لماركة سيارة _كما هو معلوم – وكلمة التكاسي جمع تاكسي وهي سيارة الأجرة في عرفنا و كلمة –دبلوماسي بمعنى مثالي و كلمة الجوال بمعنى الهاتف النقال

كما شاع في شعرهم الكثير من الشخوص الأجنبية والعربية القديمة والحديثة والكثير من أسماء الكتب والمصطلحات كهيلا سلاسي[٢]– بوش – ابن قيس – جحا – أبو نواس 'أبو فراس , وغيرها.و الأغاني و الأمالي,و النحو والإعراب , والرباعي والخماسي, والبيان والمعاني ,وغيرها .

ولجأوا أحيانا إلى تضمين أشعارهم بعض أقوال غيرهم, كما نجد من تضمين أحمد با عطب قصيدته زوجتي والخادم جملة من خطبة قس بن ساعدة الإيادي وهي قوله" أيها الناس اسمعوا وعوا" وضمن سعود الشريم قصيدته عن قيادة المرأة للسيارة بيتا لأحمد شوقي وهو قوله :

مخطـــئ مـــن ظـــن يومـــا أن للثعلـــــــــب دينـــــــــا

شعر الطبع

إذا كان ابن قتيبة عني بالمطبوع من الشعراء" من سمح بالشعر واقتدر على القوافي ، وأراك في صدر البيت عجزه ، وفي فاتحته قافيته وتبيّنت على شعره رونق الطبع، ووشى الغريزة.

فشعر المجتمع عامة والمتعلق بقضايا المرأة خاصة شعر مطبوع خالٍ من

١() السابق ص ٣٢٨.

(٢) هيلا سلاسي آخر الأباطرة الأثيوبيين ، أقصي عن ملكه إثر ثورة شيوعية واحتجز في قصره وبعد عام توفي في ظروف غامضة دفن سنة ٢٠٠٠ ميلادي بعد ٢٥سنة من وفاته. انظر وكيديا الموسوعة الحرة

التكلف والصنعة يميل إلى الأسلوب الحكائي المسترسل الشبيه بالارتجال[1].

يتبع اللفظ فيه المعنى ويشعر قارئه بأن العبارة فيه طيّعة غير متكلفة ولا مقتسرة.

انظر إلى هذه الأبيات من قصيدة ناصر الزهراني "من مأسي المعددين":

آتاني بالنصائح بعض ناس ... وقالوا أنت مقدام سياسي
أترضى أن تعيش وأنت شهم ... مع امرأة تقاسي ما تقاسي
إذا حاضت فأنت تحيض معها ... وإن نفثت فأنت أخو نفاس

تزوج باثنتين ولا تبالي ... فنحن ألو التجارب والمراسي
فقلت لهم معاذ الله إني ... أخاف من اعتلالي وارتكاسي

وقصيدة إبراهيم العلاف في تصويره لمسلك بعض الآباء في المغالاة في مهور بناتهن:

بين بنت وأبيها ... وشريك يبتغيها
قد تمنت في صباها ... فارسًا عز شبيها
وانقضى عام فعام ... تهضم الصبر الكريها

.

وقصيدة باعطب:

لا تسألي من أنت إني لست أعرف من أكون
أنستني الأحداث أوصافي وضيعني السنون

.

وقصيدة إبراهيم العلاف:

زوجوها وهي لم تختره زوجًا في الحياة

فشعرهم بعيد كل البعد عن التكلف والتعقيد فهو شعر رشيق المبنى يسيل عذوبة وطلاوة ومما يتصل بغلبة الطبع على شعرهم سرعة الخاطر لديهم فمعظم هؤلاء الشعراء عندهم طبع مواتي وبديهة حاضرة ة سرعة خاطر وليس أدل على ذلك مما نجده عندهم من القصائد الطوال والتي تمتد إلى ما فوق الخمسين والستين بيتا كما رأينا عند باعطب وناصر الزهراني وغيرهما ويبدوا من خلال الدراسة عدم عنايتهم بشعرهم ومعاودة النظر فيه وغربلته وطرح ما يجب طرحه وقد أوقعهم ذلك

(1) الشعر والشعراء ص ١٢.

كثيرا في الركاكة وضعف التركيب وقد أشرنا إلي ذلك في كثير من المواضع من ذلك في ترك المرأة لغطاء الرأس بقول أحد هم وقد رمت "العباءة والخمارة" فلم أعثر على لفظة الخمار مؤنثة إلا عند هذا الشاعر

الوحدة الموضوعية

من أهم ما اتسم به الشعر الذي تعرض لقضايا المرأة في الشعر السعودي الحديث" الوحدة الموضوعية" والمقصود بها كما نص عليها محمد غنيمي هلال: "وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع مما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبًا به تتقدم القصيدة شيئًا فشيئًا حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر.

فجل الشعر الذي تعرض لقضايا المرأة، تحققت فيه الوحدة الموضوعية فإذا أخذ الشاعر في معالجة موضوع ما تجده لا يتخطاه إلى غيره فكل جزء في الموضوع يقتضي ما بعده ويترتب عليه ما قبله حتى يتم الموضوع , وتستوفي أجزاءه في وحدة تامة، وترابط وثيق ، وبلا شك أن الوحدة الموضوعية دليل تشبع الشاعر بالفكرة وامتلاكها لمشاعره، وسيطرتها على نفسه فلا يجد الشاعر لغيرها سبيلا.

الخيال

والخيال هو ملكة في نفس الأديب تخلق التوازن بين الأشياء وتؤلف بين المتناقضات ، وتوفق بين المتعارضات، وتمزج بين الإحساس الجيد الطارئ وبين القديم المخزون في النفس وتركب بين الواقع المرئي المشاهد وبين الواقع المذاهب، وتنظم بين الانفعال العادي وبين الدرجة العالية منه، ليتم من وراء ذلك تأليف صور الخيال المختلفة التي يؤمها الأديب في بناء جديد نتج عن علاقات جديدة[١].

والخيال لغة العاطفة الحارة، والشعر الحي الفياض كما أن الحقيقة لغة العقل والفكر والخيال والعقل غير متناقضين بل هما يسيران معًا جنبًا إلى جنب في الكشف عن جوهر الحقائق ولبها المكنون[٢].

١() البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر د/ علي صبح ، المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ص ١٢٧.

٢() دراسات في النقد الأدبي د/ محمد عبد المنعم خفاجي الأولى ص ٣٩.

وقد أجمع علماء البلاغة قديمًا وحديثًا على أن الإيحاء أقوى أثرًا في النفس من التصريح وأن المعنى الذي ينتهي إلى المتلقي بعد مجاهدة النفس وكد الخاطر وإعمال الفكر والشعور وتقلبهما على وجوههما المختلفة يكون أمكن في النفس وأعظم أثرًا فيها وأقوى ارتباطا بها.

وقد احتفى شعر المرأة بالعديد من التصوير الخيالي بما يعتمد عليه من وسائل بيانية حقيقية أو مجازية، وعلاقات فنية وتراكيب إيحائية تنهض بالتعبير عما بداخل الشاعر.

والخيال في الصورة عند هؤلاء ممزوج بفكرهم وشعورهم فهو انعكاس لمرآة نفوسهم ,لا تخلوا صورة من لمسات نفوسهم ,وبصمات إحساسهم وفكرهم ,فهم يشعرون بالحياة وتتجاوب مشاعرهم بمجريات الأمور فيها لذا تراهم يلونون المحسات التي يرسمها الخيال بقوة شعورهم و يقظة نفوسهم

وقد اختلفت صورهم حسب ألوان عواطفهم وتنوعت مابين حزن وعتاب , واستعطاف وبغض وهجاء ولكل لون من هذه الألوان خيال من جنسه ينسج الشاعر صورته من خيوطها وأصباغها فهذا عبد الله المعتاز يصور تحسر العانس على ذهاب شبابها ونضوب جمالها محاولا أن يخفف من غلواء الفجيعة عليها مبيناً أن الابتلاء من سنن الله في خلقه، وأنه تعالى يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فقال تحت عنوان العانس المحرومة(١).

جاءت بحرقة قلبها وأساها فات الشباب وضاع كل رجاها
نظرت إلى المرآة ثم تنهدت تبكي وتندب حزنها وأساها
كانت مع الأبوين وردة بيتهم سحر القلوب جمالها وبهاها
كان الخطيب يجيء يرجو نظرة هو في الحياة متيم بهواها
فيصده الأبوان منذ قدومه وتقفل الأبواب قبل لقاها
واليوم مات الوالدان وفارقت عز الشباب وغاب من يهواها
قالت لقد بدت الكهولة مفرقي وغزى برأسي الشيب بعد دجاها
والعين من دمعي تقاصر نورها والجسم قد وهنت وخار قواها

(١) انظر شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب عبد الكريم بن حمد الحقيل مطابع الفرزدق التجارية الرياض الثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٣م جـ الأول صـ٢٧١.

قلت اهدئي يا أخت لست وحيدة هذي الحياة كريمها أشقاها
كم من عظيم في القيود مكبل وكريمة والعز قد عاداها
قالت ودمع العين يجري والأسى مثل السحاب تظله عيناها

وقد اختار الكلمات المعبرة عن الحسرة والأنين, من ذلك كلمة,الحرقة ' الأسى,ضاع ,تنهدت, تبكي , تندب,غاب , تقاصر , وهنت,وما أشد دلالة هذه الكلمات ووقعها على النفس فهي تعكس قدر المعاناة وفترة التأزم والتحسر التي تعيشها العانس لانصرام زمن الصبا والشباب ,إن نفس الفتاة تتفطر ألما وتتمزق حسرة وتنزف دما لشباب ولى وشيب حل لا مفر منه أنصت إليها تشخص ذلك

دعني بذل في الحياة وحسرة سأنوح ملء الأرض ملء فجاها
قلت الحياة وإن تأخر عزها فاليسر يتبع عسرها وبلاها
فلقد يجيء العز بعد مذلة ولقد يعود الأنس بعد بكاها
قالت شبابي لن يعود وقد مضى دعني أقاسي همها وأساها

وكلمة "دعني" وتكرارها في البيت الأخير تعكس حالة اليأس والقنوط التي صارت إليها الفتاة والتي كان من أثرها هذا النواح الذي يملأ الأرض و فجاها كما تقول, وقد خفف الشاعر من وطأة الحزن والأسى على الفتاة ببيانه أن مع العسر يسرا كما نص الله تعالى على ذلك في كتابه الكريم

فالخطب جسيم والمصيبة أعظم وعاطفة الأمومة وغريزة الجنس هي التي دفعت إلى هذه الصورة الأدبية

وقد راوح الشعراء في تشكيل صورهم بين الحقيقة والمجاز.

استمع إلى أحمد باعطب وهو يصور تذمر زوجته على الحياة معه لما عليه جارتها من ترف وغنى وهي على ما هي عليه من الشظف والفقر وضيق ذات اليد

وقالت جارتي بالحفل تاهت بأسورة تزين معصميها
وفي الأذنين من ذهبٍ ودر تضيء ثريتان بعارضيها
وبين النحر والنهدين تلهو عقود أسكرتْ نظري إليها
لها حجلٌ إذا سارت تغني وتاج حاضنٌ لضفيرتيها
ألم يك زوجها بالأمس يشكو وتعصره الديون بقبضتيها
فكيف له تبسمت الأماني فهب هوى وقبل مبسميها
وأنت تطوف في صحراء فقر وتلتمس السعادة في يديها
لحاك الله عثت بأمنياتي صبغت بلون بؤسك شاطئيها

دعينا في رحاب الفقر نحيا علينا من رضا المولى ستار

ننام وأعين المثرين تدمي مشنجة وليلهم احتضارُ
إذا ما رامنا بالغزو لصٌ لولى هاربًا وله خوارُ
تنغص ناظريه سلال خبز عليها من نظافتها وقار
وتخجله مقاصر سافرات لها الخلخال إسمنت وقار

فنجد تلاحق الصور المجازية في الأبيات السابقة, من ذلك تتابع الصور الاستعارية في الأبيات الثاني والرابع والخامس والسادس والثامن والتاسع.

وتلاحقه الصور الكنائية في الأبيات الثالث، والسابع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر.

والتشخيص من أبرز صور المجاز في القصيدة بل في شعر باعطب كله, فالعقود تلهوا, والحجل يتغنى, والديون تعصر, والأماني تبتسم ,وللصحراء يد ورغم تلاحق الصور المجازية في القصيدة, فقد أدت دورها بنجاح –كما كان لأسلوب باعطب الذي عرف به من خفة الروح والميل إلى الفكاهة والدعابة , دوره في نفي السآمة عن القارئ, وحمله على المتابعة.

وهذه الصور رغم كونها مألوفة لا تعدم جانب التفنن والابتكار.

وهذا عبد الله الشبانة يكشف عن خبث يهود والغرب دعواته المغرضة فيقول مصورًا الحضارة الحقيقية:

قال اليهود لكل شعب جاهل ... كن ماجنًا إن شئت أو تتحضرا
فإذا المجون لدى الشعوب تقدم ... وإذا الشعوب ترى الحياء تأخرًا
إن الحضارة في حقيقتها يدٌ تبني ... وعقلٌ لا يزال مُفكرا
ومبادئُ عُليا وأخلاق بها ... يسمو بناة المجد في هام الذرى
قد أكرم الإسلام كل نسائه ... أما وزوجا ثم بنتًا مذ ترى

.

وصور هؤلاء الشعراء وأخيلتهم مستمدة في معظمها من البيئة المعاصرة التي عاشها الشعراء وتأثروا بمجريات الحياة فيها أحيانًا ومن التراث الشعري القديم أحيانًا، نتيجة اطلاعهم على التراث العربي في مختلف عصوره فهم في معظمهم ذوو صلة باللغة العربية فقد قاموا بمدارستها وتدريسها ووقفوا على كثير من اتجاهات الشعراء السابقين وتمثلوا طرائقهم كل حسب مشربه.

كما أن خيالهم في معظمه– خيال حسي فجل صوره مادية تراها الأبصار وتلمسها الأيدي... خيال لم يعرف التحليق بعيدًا عن الأرض فالصورة الشعرية فيه بعيدة عن الرمزية أو الخيالية.

فمن صورهم المتأثرين فيها بالتراث قول عبد العزيز الرويس:

.....

وكانت إذا جاءت يطير بها الفتى ... وتؤنس ناديها وكم طردت حُزنا
تثنى كمثل الخيزران رشاقة ... رخيمة صوت يبعث الشدو واللحنا

.

فتشبيه المرأة بالخيزران في التثني والليونة تشبيه قديم نجد عند قول الأول:

إذا قامت لحاجتها تثنت ... كأن عظامها من خيزران

.

ومن الصور المتأثرين فيها بالبيئة المعاصرة قول الهليل:

ومن أبشع الأشياء زي تبرج ... ذميم ومن يهواه لا شك خاسر
فمنه فساتين التبختر إنها ... بلاء وإسراف وبذخ مجاهر
تبختر طاووس يتيه بخطوه ... مشى مرحًا يختال والعزم قاصر
ومنه قصير ضيقٌ ومجبع ... كمنتوف ريش الطير والطير سائر
ومنه حذاء ذو الكباب مقبب ... يعوِّق طبع السير فالسير حاسرُ

كحـــافر عيـــر لـــم يقلـــم حياتـــه فبـــئس حـــذاء أشـــبهته الحـــوافر

.

و قول أسامة عبد الرحمن[١] تحت عنوان الحضارة الساذجة ينقد السفور:

لا تخدشـــــي هـــــذا الجمـــــال وتســـــفحيه علـــــى الطريـــــق
تستعرضـــــين إذا خطـــــرت مفـــــاتن الجســـــد الرشـــــيق

وعبـــاءة شـــفافة كزجـــاج نافـــذة رقيـــق
يضـفي بريقـا رائعًـا كسـناك مـن فـوق البريـق
هـذا الجمـال إذا سَـمى فبكـل مـا يسـمو خليـق

فالتشبيه في البيت الثالث مأخوذ من البيئة المعاصرة

وقول ناصر الزهراني:

وإن عشـــر اللســـان بـــذكر هـــذي لهـــذى شـــب مثـــل الالتمـــاس[٢]

.

وقول أحدهم ردًا على ناصر الزهراني:

وكـــان ينـــام محترمًـــا عزيـــزًا فصـــار ينـــام مـــا بـــين البســـاس[٣]
يقـــول أدور مـــن حـــي لحـــي كـــأني بعـــض أصـــحاب التكاســـي

١() أسامة عبد الرحمن: ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٦٢هـ، حصل على الدكتوراه في الإدارة العامة من الجامعة الأمريكية بواشنطن سنة ١٩٧٠م.

صدر له أكثر من ديوان منها: ديوان" وغيض الماء،"وديوان" واستوت على الجودي"، "وديوان:–" فأصبحت كالصريم –وديوان شمعة ظمأى.

شعراء من الجزيرة العربية عبد الله الحميد ص ٥٩

٢() شعراء من الجزيرة العربية عبد الله الحميد ص ٧٣.

التماس: يعرف بـ التماس الأرضي وهو أن يلمس الطرف الكهربائي الطرف الأرضي فيحدث ما يسمى بقصر الدائرة

٣() البس: صوت تُدعى به الهرْ لتقبل والبسُ الهرة الأهلية.

وتقضـــي الأربعـــين بحـــال ســـوء كجمـــس قـــد تعطـــل فـــي الغـــراس

ومن سمات التشبيه عندهم قيامه على الحسيات التي تعتمد في تصويرها على حاسة من الحواس الخمسة, وقد أجاد الشعراء في تشبيه الحسيات أما المعنويات فقصورهما في شعرهم قليلة ومن تشبيه المعنويات في شعرهم قول أحدهم الخمس ومن استعاراتهم الجيدة التي صورت مشاعرهم وعبرت عن مكنون خواطرهم قول أحدهم

لما رأيتك تنتشين طروبة من حسرتي أنشبت فيك مخالبي

ومن كناياتهم المعبرة أيضا قول العشماوي

فسألتها والنفس حائرة والنار في قلبي لها وقد

فالشطر الثاني كناية عن الحسرة التي انتابت الشاعر من جراء سوء مظهر الفتاة السعودية .

وقد اعتمد الشعراء على إيحائية الألفاظ في كثير من الأحيان مما زاد في بلورة الصورة ووضوحها,فكلمة متربصٌ في قول الشاعر:-

كـــل وراء خداعـــه متـــربصٌ وعلـــى الـــدراهم كالـــذآب يحـــارش

توحي بالجشع والحرص اللذان استقرا في نفوس هؤلاء الآباء.

كما جنحوا إلى المقابلة أو التضاد للحصول على صور فنية أخاذة تبرز التناقض بين المتقابلين من ذلك مقابلة أحمد باعطب بين نوم المحبوبة الهادئ العميق وشدة أرقه و سهاده في قوله:

باتـت تغـط وبـت رهـن شـجوني أحصـي بأنفـاس علـيّ ديـوني[1]

نامت وطيب العيش ملء جفونها والحزن يجرح بالسهاد جفوني

. .

وكذلك قوله:

قالـت أتعشـق أن تعـيش روايـة بفصـولها يتفكـه الجيـران

تـزدان فـي حلـل النعـيم ديـارهم وديارنـا بشـقائنا تـزدان

١() تغط: يقال غطّ في نومه غطًا وغطيطًا ردَّد النفس في خياشيمه بصوت مسموع.

وبعد هذا العرض نستطيع أن نقول ونحن مطمئنون :- إن صور هؤلاء الشعراء استطاعت أن تعبر عن مضمونها ببراعة وإتقان- كما دلت على قدرة الخيال لديهم في تأليف الصور المعبرة عن تصوراتهم الفنية,-وكان الخيال في صورهم دانيا سطحيا لا عمق فيه ولا خصوبة ومما لا شك فيه أن الخيال كلما كان عميقا موحيا كانت الصورة قوية مثيرة .-استطاع الشعراء- في تصويرهم الأدبي- أن يستخدموا معظم وسائله وأغلب طرقه من تشبيه ,وتمثيل, واستعارة, وكناية, وحسن تعليل, وتجسيم, وتشخيص, وغيرها من الصور الجزئية. -ونجد الصورة عندهم غالبا ما تقتصر على نقل المحسوسات -وقد نمى في نفس هؤلاء الشعراء سمات الشاعرية التي جعلتهم يرسمون بعواطفهم ومشاعرهم شتى المواقف والأحاسيس والمشاعر عواطفهم المتأججة وإحساسهم المرهف فهذه حوافز نمت لديهم ملكات التخيل والتصوير ونفحتهم بجيد التشبيهات

المعاني

المقصود بالمعاني هنا " المدركات التي يقف عليها الشاعر في أثناء تفكيره في موضوعه فالمعاني الشعرية هي الحقائق التي تشد انتباه الشاعر في موضوعه وعليها يقوم البناء الشعري"

والمتتبع للشعر المتعلق بقضايا المرأة في المملكة يلاحظ عدة سمات:

الأولى :- وضوح معانيه وصراحتها وصدقها في آن واحد فقد فرضت عليهم بيئة الجزيرة المفتوحة في العصر الحاضر بما تتمتع به من استقلال وحرية ومكانة دينية أن يتخلقوا بخلق الشجاعة ومواجهة القضايا التي تجدّ على الساحة الحديثة والمعاصرة بكل وضوح ودون أدنى مواربة أو التواء وليس أدل على ذلك من القصائد التي تتعرض لغلاء المهور والسفور وقيادة المرأة للسيارة

فتوجهوا إلى الآباء بالنقد الذي يصل إلى حد التجريح في كثير من الأحيان فاتهموهم بالجشع والطمع والظلم ووصفوا الشباب فريسة بين مخالب أسود شرى وهددوا بمستقبل سيئ إذا لم ينتهوا عن عنتهم وظلمهم وبعدهم عن منهج الله سبحانه وتعالى فهذا إبراهيم الغزاوي يقول :

كيف السلامة تبتغى في أمة ... ما همها إلا الثراء الفاحِشِ
كلُ وراء خداعه متربصَ ... وعلى الدراهم كالذئاب يحارش

أمـــا الديانـــة والأمانـــة والتُقـــى فالســـهم منهـــا حيـــث يُطلـــق طـــائش

الثانيـة :- السمو والإيجابية إذ هو يركز على الجانب الإصلاحي حتى يصير المجتمع مجتمعًا فاضلاً يحكمه الدين وتسوده الفضيلة وتعمّه الرأفة والمودة فمعانيه معاني بناءة لا هدامة يجنح إلى تصوير السلبيات ويشخصها ويكشفها أمام رعاة المرأة وولاتها من أزواج وآباء وإخوان بل أمام المجتمع كله ابتغاء الأخذ بالصورة المقابلة المرغوب فيها

ونجد المحاجة بالحسنى المبنية على المجادلة بالتي هي أحسن والمدعمة بالحجج والأسانيد الصحيحة- التي من شأنها أن تحمل المتلقي عل الإذعان والخضوع والتسليم لرأي الغير - تجد طريقها في المعالجة – إذ أن هذه المحاجة متسقة مع الجو النفسي للمتلقي فمثلاً حين يحاج الأديب الأب الذي يبالغ في مهور بناته نجد أن بعد هذه المجادلة والمحاجة لا يرضى أي أب سوى لبناته الشواغل والهموم والتقهقر عن نداتهن ونظائرهن – وفي قضية – مثل قضية قيادة المرأة للسيارة يحاول الشعراء إحياء الغرائز الدينية والشيم العربية النبيلة في نفوس أولياء الأمور فهم غيورون بفطرتهم على المرأة انظر إلى قول أحدهم ثانية:

يســـرك أن تـــرى هنـــدا وســـارة يلاحقهـــا الشـــباب لـــدى الإشـــارة
وتخـــرج كلمـــا شـــاءت نهـــارا ولـــــيلاً دون إذن أو إشـــــارة
وهاتفهـــــا ورخصـــــتها بكـــــفٍ وفـــي الأخـــرى مفـــاتيح العمـــارة
يســـــرك أن يراهـــــا بنشـــــري وشـــــحام وشـــــرطي الخفـــــارة
تخـــــالطهم وتقضـــــي مبتغاهـــــا وقـــد رمـــت العبـــاءة والخمـــار

إلى آخر الأبيات.

الثالثة:- أنها بسيطة فطرية لا تعقيد فيها ولا تركيب كما أنها معان حسية لم تخضع لصنعة العقل أو لنظر فلسفي في لكون والحياة فأحمد باعطب يقرر أنه إذا رضى بتلبية رغائب زوجته على حساب عفافه وأمانته فهو حمار_أكرمكم الله_ وذلك في قوله:-

إذا مـا عشـت أنحـت مـن عفـافي رغائـــب زوجتـــي أنـــا حمـــار

فنحن أمام معان إنسانية حسية يصوغها الشاعر مما يتراءى له في بيئته دون

أن يتحول بها إلى معان ذهنية مجردة أو صور عقلية مركبة ونحن نتعجب من بساطة معانيهم رغم الطفرة الحضارية و الانفتاح الواسع على العالم الأوربي

الرابعة: – استيفاء المعنى وتقصي الغرض فإذا أخذ الشاعر في معالجة معنى من المعاني مال إلى التوليد فيه فلا يزال يقلبه ظهرا لبطن ويصرفه في كل وجه وإلى كل ناحية حتى يتمه بل ويميته ويعلم أنه لا مطمع فيه لأحد أنظر إلى قصيدة البطاقة لعبد الرحمن السويداء و قصائد باعطب الوليمة القاتلة – وزوج اثنتين– و زوجتي والخادم تقف على صحة ما نقول

الخامسة :– شيوع الحكم والأمثال في قصائدهم ومن المعلوم أن الحكمة تحمل خلاصة تجارب الحكيم وخبراته بالحياة " وتقوم على مقررات ثابتة مسلم بها تتقبلها العقول وتنقاد لها النفوس والمشاعر"[1]

فلدى هؤلاء الشعراء المقدرة على ضرب الأمثال وعقد جوامع الحكم ,وتدور حكمهم – غالبا – في فلك القضايا التي يعالجوها ولا تتجاوزها إلى نظر فلسفي تأملي شامل في الكون والحياة من ذلك قول عبد الغني التميمي:

هذا وإسداء النصيحة واجب فأنا سأهديها لكل صواحبي
وصناعة الأحلام محض خديعة وضريبة الأوهام رد الخاطب

وقول العواد:

قلم البنت في يد البنت مفتا ح لإنشاء أُمة ترعاها

وقول باعطب:

دعينا فالسعادة يا حياتي رؤى كذب وثوب مستعار
.

وقول علي الفيفي:

وحرارة الأشواق نار في القلوب المستهامة
.

وقول الآخر:

١ الأدب العربي بين البادية والحاضرة د/إبراهيم عوضين – صـ٣٣١

وصـــــــرخت قائلـــــــة لـــــــه أحلـــــى حـــــديثك كالنصـــــال

وقول الشيخ سعود الشريم:

أنـــــت عنـــــد القـــــوم كـــــأس أو خمـــــــــور الأنـــــــــدرينا

.

وقول إبراهيم العلاف:

والأمهـــات إذا مـــا كـــن فـــي ســـفه فاحكم على الجيل أن النقص حاديه

.

وقد كان مثلهم يبنع من طبيعة الموقف.

وتميل معانيهم في معظمها إلى الدقة والاستقامة وهذا – بلا شك ما يحتاجه المقام وما تتطلبه الحقيقة فالموقف يقتضي الإيضاح والكشف بكل أبعادهما ولعل السر وراء الاستقامة هو منحى الشعراء أنفسهم الذي يميل إلى السهولة والبُعد عن الإغراب والتعقيد

ورغم استقامة معاني الشعراء فقد خلت في معظمها من العمق الفكري والابتكار والتوليد.

كما خلت جميع القصائد من المقدمات الطلليّة أو الغزلية فقد أجهز الشعراء على موضوعاتهم بذكر ما يجسد المأساة ويصورها ثم تتوالى أجزاء القصيدة في عرض القضية وتقديم الحلول المناسبة , وهذا ما يتوافق وطبيعة الموضوع ويقتضيه المقام فجل القضايا يرفدها هموم وشواغل ويدفع إليها عواطف محزنة مؤلمة,فلا مجال إذن للتغزل بفتاة أو وصف مهاة

وأفكار القصائد تتسم بإحكام الترابط الداخلي, فاللهجة الحادة والانفعال النفسي في كثير من القصائد له بواعثه في نفس الشعراء وهو غيرتهم على بنات جنسهم وحدبهم عليهن ,ورغبتهم في الارتقاء بهن إلى ذروة الفضيلة , وهذه المعاني تقتضي اللهجة الحادة أحيانًا.

الميل إلى الفكاهة

ونجد في الشعر المتعلق بقضايا المرأة ميلٌ ظاهر إلى الفكاهة العذبة التي تنتزع البسمة من النفس انتزاعًا، ولعل ميل كثير من شعراء هذا الجانب إلى الفكاهة يعود إلى الرغبة في أن يسود في تجاربهم وأشعارهم لون من أسر الأبيات ولفت الانتباه والتجاوب بينهم وبين المتلقي لأن النفس ميالة بطبيعتها إلى من يروح لها والجدية

في الشاعرية والتقريرية الدائمة تحول دون الرغبة في المتابعة .

وقد فطن إلى ذلك الجاحظ قديما فمال في محاضراته إلى مزج الجد بالهزل رغبة منه في نفي السآمة عن السامع(١).

فقال مصورًا ذلك " وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضيات أن يُحمل أصحابها على الجد الصِّرف وعلى العقل المحض وعلى الحق المر وللصبر غاية وللاحتمال نهاية ، ولا بأس أن يكون الكتاب موشحًا ببعض الهزل"(٢).

ويقول المسعودي عنه كتب الجاحظ... تجلو صدأ الأذهان وتكشف واضح البرهان؛ لأنه نظمها أحسن نظم ورصفها أحسن رصف... وكان إذا تخوف ملل القارئ وسآمة السامع خرج من جدٍ إلى هزل ومن حكمة بليغة إلى نادرة طريفة".(٣).

ولعل شعراء المملكة أنفسهم جنحوا إلى هذا الأسلوب الفكه الساخر حتى لا يكونوا في موضع اتهام وتوبيخ من ولي أمر الفتاة من أبٍ أو أخٍ أو عمٍ أو زوجٍ الخ.

وقد لفتت ظاهرة الميل إلى الفكاهة نظر بعض دارسي الأدب السعودي الحديث فالدكتور مسعد العطوي يقول عن سريان الفكاهة في الشعر الاجتماعي الحديث في السعودية.

والفكاهة والظرف من الأساليب المتواصلة مع الشعر الاجتماعي فهي تؤدي إلى الضحك وتدعو إلى سريان الأبيات وهي " الفن الصعب لا يروضه إلا صاحب موهبة شعرية ولديه قدرة على الدعابة وصياغتها ولا ريب من ضرورة الثقافة عامة والاجتماعية خاصة (٤).

وكثيرا ما استخدم الشعراء أسلوب التهكم والذم في ثوب المدح والإطراء أو بمعنى آخر أسلوب يعرف في علم البديع بـ تأكيد الذم بما يشبه المدح.

فهذا عبد السلام حافظ يندد بحفلات الزواج وما عليها من إسراف ومبالغة في النفقة قائلاً(٥).

أقيمـــــوا لنـــــا فرحًـــــا زاهـــــرًا

١() الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية ص ٤٧ .

٢() الحيوان رسائل الجاحظ رسالة في النساء نشر السندوبي ص ٢٦٦.

٣() مروج الذهب ط الأندلس ج ٤ ص ١٠٩.

٤() انظر الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية – صـ٤٧٠

٥() أنظر :- ديوان عبد السلام حافظ . الفجر الراقص

أقيمـــــــــوه بالزينـــــــــة الواســـــــــعة
فـــــــــنحن هنـــــــــا ذو يســـــــــار

كبار كبار

واقرأ قصيدة أحمد باعطب، بل إن شئت اقرأ شعر باعطب كله تجد فيه روحًا فكهة ساخرة ظريفة وأسلوبا جميلا محببا إلى النفس.

يقول في إحدى قصائده(١):

أتـــت والغـــيظ يصـــفح وجنتيهـــا ... ويلهـــب جمـــرة فـــي مقلتيهـــا
وتعجـــن بـــين فكيهـــا ســـبابي ... وتـــــنفخ بالتنهـــــد منخريهـــــا
مشـــمرة بنـــار الحقـــد تغلـــي ... تُلـــــوِّح بـــــالهجوم بســـــاعديها
فأعليـــت المســـاند لـــي ســـياجًا ... مخافـــــــة أن أذوب بناظريهـــــا
وقلـــتُ معاتبًـــا كفـــى فهبـــت ... لترســـم فـــوق ظهـــري راحتيهـــا

ومن ذلك قول ناصر الزهراني في قصيدته من مآسي المعددين

فخضـــت غمـــار تجربـــة ضـــروس ... بهـــا كـــان افتنـــاني وابتأســـي
يحـــز لهيبهـــا فـــي القلـــب حـــزا ... أشـــد علـــيَّ مـــن حـــز المواســـي

وإن عثـــر اللســـان بـــذكر هـــذي ... لهـــذى شـــب مثـــل الالتمـــاس
وتبصـــرني إذا مـــا احتجـــت أمـــرًا ... مـــن الأخـــرى يكـــون بـــالاختلاس
وكـــم مـــن ليلـــة أمســـي حزينًـــا ... أنـــام علـــى الســـطوح بـــلا لبـــاس
وكنـــت أنـــام محترمًـــا عزيـــزًا ... فصـــرت أنـــام مـــا بـــين البساســـى
أرضـــع نـــامس الجيـــران دمـــي ... وأسقـي كل برغوث بكاسي

أروح لأشـــتري كتبًـــا فأنســـى ... وأشـــري الزيـــت أو ســـلك النحـــاس

(١) ديوان قلب على الرصيف أحمد باعطب.

أســـير أدور مـــن حـــي لحـــي كـــأني بعـــض أصـــحاب التكـــاس
ولا أدري عـــن الأيـــام شـــيء ولا كيـــف انتهـــى العـــام الدراســـي
....
وجـــاء الناصـــحون إلـــيّ أخـــرى وقـــالوا نحـــن أربـــاب المراســـي
ولا تســـأم ولا تبقـــى حزينًـــا فقـــد جئنـــا بحـــل دبلوماســـي
تـــزوج حرمـــة أخـــرى لتحيـــا ســـعيدًا ســـالمًا مـــن كـــل بـــاس
فصـــحت بهـــم لـــئن لـــم تتركـــوني لأنفلـــتن ضـــربا بالمـــداس

وقول أحمد باعطب

إذا ما عشت أنحت من عفافي رغائب زوجتي فأنا حمار

ومن الجدير بالذكر أيضًا أن ننوه على سمة غلبت على شعراء قضايا المرأة ألا وهي الميل إلى تصوير المرأة بصورة غير مرغوب فيها ، فهي كثيرًا تشكو الضنى والوحدة والسهاد ، والعنوسة وتشكو الأب والأم وتمقت المجتمع بأسره، ولا يتحرجون من أن يصفونها عاشقة– تطلب الرجل وترمي حوله الشباك.

انظر إلى علي النعمي يصور حوارًا دار بين بنت وأمها ويكشف عن وله الاثنتين بشابٍ وسيم. (١)

مـــن عنـــاء، فـــدعي أمـــر الفتـــى لـــي وعُقبـــي مـــا ســـأرمي انتظـــري
شـــــاهدته فأطالـــــت نظـــــرًا فـــي محيـــاه فقالـــت: وطـــري
لـــم ألـــم ابنتـــي علـــى الوجـــد بـــه فهـــو نـــوع نـــادرٌ فـــي البشـــر
يتعًـــالي شـــبه طـــاووس علـــى وهـــج الغيـــد بـــأزهى الصـــور
شـــدني، شـــد ابنتـــي أوثقنـــا بـــالهوى الطـــاغي فيـــا للقـــدر
هـــي تهـــواه أنـــا أعشـــقه بجنـــون العاشـــق المنتحـــر
هـــو عنـــا غافـــل مـــا انجـــذبت نفســـه – توقًـــا لغـــالي الـــدرر
. . .

والأبيات تذكرنا بحوار عمر بن أبي ربيعة الذي صور خلاله المرأة عاشقة لا معشوقة فهو المتمنع وهي التي تطلبه وتتبع خطاه وليس هذا بلائق بالمرأة العربية التي عرف عنها شدة الحياء والخفر انظر إلى عمر يصور وله الفتيات

١() علي أحمد النعمي ص ٥٧ ديوان عن الحب ومنى الحلم.

به[1]

قالـــت لتـــرب لهـــا تحـــدّثها لنفســـدن الطـــواف فـــي عمـــر
قـــومي تصـــدي لـــه ليعرفنـــا ثـــم اغمزيـــه يـــا أخـــت فـــي خفـــر
قالـــت لهـــا قـــد غمزتـــه فـــأبى ثـــم اســـبطرت تســـعى علـــى أثـــري
. . .

وهذا مفرج السيد يقول أيضا مصورًا طلب المرأة الرجل[2].

حـــديث فـــي حنايـــا الليـــل دارا غـــدونا مـــن حلاوتـــه ســـكارى
درينـــا منـــه عـــن خـــافي هوانـــا وكنـــا قبـــل أن نـــدري حيـــارى
فقالـــت لـــي أحبـــك فـــي جنـــون وخلـــف الخـــوف حـــب قـــد تـــوارى
فلـــم أجهـــر بـــه خجـــلاً وخوفـــا فقـــد وصـــفوا الهـــوى للنـــاس عـــارا
ولكنـــــي مجازفـــــة بنفســـــي لأجـــل هـــواك قـــد زحـــت الســـتارا
فـــإن تقبـــل فـــذاك منـــى حيـــاتي وإن تـــرفض تركـــت لـــك الخيـــارا
....

وينقل معيض البخيتان حوارًا دار بين أختين قائلا[3].

جـــاءت إلـــى أختهـــا تشـــكو البلـــد مـــن بـــائع شـــره أو مشـــتر وغـــد
أو طـــائش يســـرق الأنظـــار متئـــد مســـتكلب الحلـــب أو مستبشـــع حقـــد
قالت: وقد داعبت من شعرها خصلا كـــالتبر بـــين منثـــور ومنتضـــد

أختـــاه مـــا أجمـــل الأســـواق أفضـــلها مـــا زاحـــم النـــاس فيـــه ربـــة الغيـــد
ولامـــس الـــرائح الغـــادي ملاطفـــة ما رامها مع ضجيج السوق من أحد

ومـن الشـواهد الأخـرى الدالـة علـى تجـاوز بعـض الشـعراء حـدود اللياقـة فـي تصوير المرأة السعودية , قول الآخر:

١() انظر ديوان عمر بن أبي ربيعة– المطبعة الوطنية بيروت –الأولى–١٣٥٣هـ١٩٣٤ مـ–صـ١٣١.

٢() موسـوعة الأدب العربـي السـعودي الحـديث – د/ عبـد الله بـن حامـد العقيـل، المفـردات للنشـر والتوزيـع والدراسات الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م الرياض – مطابع الحميضي المجلد الثاني ٢١٣.

٣() ديوان الهجير معيض البخيتان: الأولى مطابع حنيفة ١٩٧٨م ص ١٢٣.

نهـدي يسـائلي لمـن أنـا أكبـر وتقـول لـي عينـي لمـن أنـا أنظـر
والخـد يسـألني خلقـت لمـن؟ فـلا أدري الجـواب ولـيس لـي مـن يخبـر

والقصيدة طويلة ارجع إليها إن شئت في مبحث العنوسة

ظاهرة التكرار

شاع التكرار في الشعر الاجتماعي عامة والمتعلق بقضايا المرأة خاصة ورغم شيوع هذه الظاهرة فإن حسن الهويمل يرى أنها لا تشكل محصلة فنية، لأنها لا تتجاوز المدى الطبيعي[1].

والتكرار يعد من الظواهر القديمة التي لفتت أنظار البلاغيين كابن سناء الخفاجي في كتابه سر الفصاحة ط ١٩٦٩ القاهرة ص ٩٥.

والتكرار ليس معيبًا في كل الأحوال فقد يمد المتلقي بدلالات فنية ونفسية وموضوعية.

وقد يكون مرتبط بالحالة الشعورية فهذا شاعرهم علي الفيفي يعبر عن شعوره تجاه فتاته ، وما يعتلج في صدره من لواعج الحب والأسى والحسرة معًا بسبب حيلولة التقاليد دون بلوغ الأرب وتحقيق الأماني من مهور مغال فيها ومن نظرة دونية للفقير حتى لو كان شهمًا مكافحًا نزيها فيقول:

كيـف أسـلو ولـوعتي كالسـعير كيف أسطيع شرح ما في الضمير
كيـف أشـكو مـودتي لفتـاة وهـي تشـكو الهـوى بـدمع غزيـر
كيـف أسـطيع أن أعـيش سـعيدًا هـادئ البـال فـي خضـم خطيـر

كيـف أخفـي لواعجًـا جعلتنـي شـارد الـذهن دائـم التفكيـر

ويوضح حسن الهويمل أن التكرار لا يمثل ثراء لغويًا بقدر ما يمثل حالة شعورية يعجز السياق ابتداء عن استيعابها، فتبقي الكلمة وبطريقة عفوية تتكرر في مطلع كل بيت حتى تستنزف هذا الشعور وتستفرغ هذا الملل ... ويدفع إليها الحرص الملموس عنده على الوحدة الشعورية إذ يقوم شعره على التدفق الانفعالي

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ص ٥١١.

المحسوب على التأمل والذهنية[١].

وكثيرا ما يرتبط التكرار– عندهم بالصياغة الشعرية كما في قصيدة أحمد باعطب "زوجتي والخادمة"[٢].

وفيها تكرار لكلمتي قالت وقلت أكثر من عشر مرات.

فالتكرار في القصيدة ينمي الحدث , وهو لا غني عنه في موضعه هذا لأنه رأس لصياغة الحوار.

ونجد التكرار في قول الشاعر

فويل ثم ويلٌ ثم ويلٌ لأهل الطهر من أهل الدعارة

قد عكس هذا التهديد والوعيد الذي أراد الشاعر التنبيه عليه

ولا يقتصر التكرار عندهم على اللفظية إذ وجدنا تكرار التركيب فعلي الفيفي يصور ما ينبغي أن تكون عليه الفتاة العربية المسلمة قائلاً:

أنت خير النساء بين البرية أنت بالدين والعفاف قوية

ذات دين وذات مجد عريق وحياء وعزة عربية

يا ابنة الأكرمين والشرف الغالي ومن تنتمي لخير البرية

خلق الطهر والعفاف بعينيك وفي النفس فهو فيها سجية

يا ابنة الأكرمين بالعلم تسمو كل أنثى وتسعد الذرية

. .

وهذا سعود الشريم يكرر جملة " يا فتاة الخير " أكثر من مرة في قصيدته التي تسفر عن رأيه في قيادة المرأة للسيارة[٣].

ومن الملاحظ أن التكرار الغالب لدى هؤلاء الشعراء هو تكرار اللفظة أو الجملة أكثر من مرة في المقطوعة أو القصيدة الواحدة، أما تكرار الكلمة في البيت الواحد فلا يصل إلى مستوى تكرار الكلمة أو الجملة في المقطوعة أو القصيدة، ومن تكرار الكلمة في البيت الواحد قول عبد الله الحميد:

فتمضي على العذار سنون مريرة بها تعنس الآبار ثم تبور

فكم من فتى يرعى النجوم مسهدُ وكم من فؤاد بات وهو كسير

١() النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ص ٥١١ .

(٢) انظر ديونه قلب على الرصيف ص ١١٠ وما بعدها.

٣() أنظر مبحث قيادة المرأة للسيارة

وذاك لأن المهـــر زيـــد ولـــم يـــزل يـــــزوده الآبـــــاء وهـــــو كثيـــــر

وقول عبد الله الشبانة:

نهـــدي يســـائلني لمـــن أنـــا أكبـــر وتقـول لـــي عينـــي لمـن أنـا أنظـر
والخـــد يســـألني خلقـــت لمـــن فـــلا أدري الجـواب ولـيس لـي مـن يخبـر

ويقول علي الحمود عن دور التكرار وقيمته [1] ,والخلاصة في قيمة التكرار في الشعر تتمثل في قدرته على عكس التجربة الانفعالية عند الشاعر ، وتجسيد معاناته ، والكشف عن جوانب خفية في النص الشعري ، من خلال الوقوف عند الألفاظ والمعاني المكررة التي أسهمت في تشكيل الجو العام للنص . ويسهم التكرار – أيضاً – في منح النص مزيداً من التلاحم والترابط ، وهذا جانب مهم في تحقيق الوحدة العضوية للنص . ويمكن أن تعدّ الألفاظ والمعاني المكررة مفاتيح للنص ، تسهم في الكشف عن بعض الجوانب الخفية فيه . ومن جانب آخر لا يمكن إغفال الجانب الإيقاعي الموسيقي الذي يكتسبه النص من جراء التكرار اللفظي .

الموسيقى

ربط النقاد المعاصرون بين الأفكار والحالة الشعورية وبين الموسيقى فقالوا: " إن خير الموسيقى ما تتمشى مع الأفكار وتتناسق مع المعاني وتتجاذب نغماتها ونبراتها مع حالات النفس، فالشاعر في اهتياجه وغضبه وغيظه يكون تعبيره عالي النغمة وفي حزنه منخفضًا، وفي تعجبه وفرحه وهدوئه واطمئنانه تكون مسافاته الصوتية طويلة، وهكذا لتساير النغمات حالات النفس كما تساير موضوع القصيدة وفكرتها[٢].

وبالاستقصاء والتتبع للشعر المتعلق بقضايا المرأة في السعودية تبين أن شعراءه نظموا في هيئات متعددة الأشكال'فقد نظموا على الهيئة التقليدية للقصيدة العمودية من وحدة الوزن ووحدة القافية, ومعظم الشعر المأثور عنهم في هذا

[1] أنظر ظاهرة التكرار في شعر عبد الرحمن العشماوي , عناقيد الضياء نموذجا

٢() حسني عبد الجليل – موسيقى الشعر العربي ط الأولى الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٨٩م ص ٢١.

الجانب جاء على الهيئة التقليدية الموروثة والمتمثلة في وحدة الوزن والقافية, بيد أنهم مالوا إلى تجزئة البحور كما مالوا إلى النظم على الأوزان الخفيفة كالخفيف والرمل والمتدارك.

يقول أحدهم:

بين بنت وأبيها وشريك يبتغيها
قد تمنت في صباها فارساً عز شبيها
وانقضى عام فعام تهضم الصبر الكريها
واستوى فيها شباب واشتياق يعتريها
وفتى الأحلام طيف ومثال يستبيها

والقصيدة من مجزوء الرمل فاعلاتن فاعلاتن مرة في كل شطر.

وقصيدة أحدهم في النهي عن السفور والدعوة إلى الحجاب:

دهت الحجاز مصائب شمّ الجبال لها تمور
إن النساء ودائع فدعوا الودائع في القصور
فالغاب يزخر بالنسا ء وبالثعالب والنمور
أحمامة البلد الحرام م وربة الحسن الوفير

القصيدة من مجزوء الكامل ,متفاعل أربع مرّات اثنان في كل شطر

وهي– كما نرى– تكثر فيها المدود والمد فيه استرخاء ومطاولة غير السكون "ومع المد أو اللين يمتد النفس أكثر حتى ينقطع في بطء عند الحرف الذي يليه وهذا أنسب لمقام الحزن الممض ولألم النفسي القاتل"[1]ففي الحجاز حرف لين وفي مصائب حرف لين وفي الجبال حرف لين وفي تمور حرف لين وفي كل كلمة من كلمات القصيدة تقريبا حرف لين

وغلب على أشعارهم البحور الممتدة والأوزان الطويلة,لأن الامتداد والطول يتفق مع شدة الحزن وكل ما يتصل به من الفشل والعجز والشعور بالضعف

كما كثر عندهم التدوير في الأبيات فالبيت يأتي غير مقسم إلى شطرين كما

[1] () البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر د/ علي صبح صـ٢٤٥

في القصيدة السابقة وكما في قصيدة سعود الشريم التى مطلعها :

قيل في الإعلام قول عن ولي العهد فينا

وقصيدة صالح الوشمي التي مطلعها:

صوني الجمال وكرميه عن التبذل والمجون
فالدّر محبوب وفي الأصداف أغلى ما يكون
والحسن يا للحسن ، يبرزه التحضر من عرين

والتصريع يعد من السمات البارزة في أشعارهم فأغلب قصائدهم جاءت مصرّعة وهذا بلا شك يعطي تلوينا موسيقيا جميلا ونغما جذابا في مطلع القصيدة وقد وظف الشعر الحر في معالجة العديد من قضايا المرأة, بل إن بعضهم أخذ يسرد فيه قصصًا كقصة الزواج من الخارج والعزوف عن فتاة الوطن لمنصور الحازمي([1])ومما لاشك فيه أن شعر التفعيلة يساعد في أن يكون الحوار رشيقا في بنيته ,كما يساعد في عدم الوقوع في الحشو الذي كان الشاعر لا يسلم من الوقوع فيه في نظام الشطرين.

فالشاعر لم يلتزم في القصيدة بتفعيلة مخصوصة استخدمها في جميع الأسطر ولم تكن الأسطر متماثلة فبعضها تفعيلة واحدة وبعضها الآخر أكثر من تفعيلة بحرفين، وقليل من الأسطر تجاوز التفعيلتين وتكثر تقفيتها بالراء والنون مما يؤدي إلى تنغيم القافية.

وكذلك قصيدة – عبد الرحمن العشماوي في الدعوة إلى الحجاب ونبذ الازدواجية والتأثر بالغرب انظر مبحث الحجاب والسفور.

أما الشعر المرسل والذي لا يتقيد فيه الشاعر بقافية موحدة وإن حافظ أصحابه على وحدة الوزن الشعري فقد كان له دور أيضًا في مجال المعالجة لقضايا المرأة وإن كان أقل حظًا من الشعر العمودي التقليدي والشعر الحر[٢].

([1]) انظر مبحث العنوسة وديوان أشواق وحكايات لمنصور الحازمي ص ٢٩.

٢ () انظر قضية التقليد – قصيدة باعطب والتي مطلعها
أتت والغيظ يصفح وجنتيها – ويلهب جمرة في مقلتيها

ويرى الكثير من دارسي الأدب أن التنوع في القوافي يؤدي إلى التحرر من سلطانها كما يؤدي إلى التنوع في الأنغام بين الارتفاع و الانخفاض

وموسيقاهم في معظمها تسيل رقة وعذوبة سيلانا يؤثر في نفوس قرائه تأثيرا عميقا يحملهم على المتابعة.

أما الموسيقى الداخلية والتي تقوم على التنسيق المعنوي وتأتي في المقام الأول من علاقات التوافق والتضاد بين المعاني دون المباني من حيث تشكيلها الصوتي" فقد تحققت إلى حد كبير واستطاع الشعراء أن يحدثوا توافقًا وتناغمًا وإيقاعًا ملائمًا لشعور الشاعر داخل البيت الشعري كما سبق أن وضحنا في ثنايا البحث.

وقصيدة أحمد النعمي التي مطلعها

عـاد لـيلاً فـي حيـرة واضـطراب وبأعماقـــــه صـــــفات الـــــذئاب

.

الخاتمة

وبعد فهذه جملة من قضايا المرأة في المملكة العربية السعودية في العصر الحديث , جنحت في معالجتها إلى الاستقصاء والتتبع , رغبة في وقوف القارئ على إسهامات الشعراء في جملة هذه القضايا من ناحية ، وبلورة الصورة ووضوحها في ذهن القارئ من ناحية أخرى , وأستسمح القارئ العذر في الإطالة في سرد بعض النماذج الشعرية كاملة في مواضع كثيرة من البحث وعذري في ذلك سيادة القص الشعري عندهم وبالتالي صعوبة بتر القصة قبل أن تصل إلى لحظة التنوير حتى لا يضطرب السياق

كما استسمحه العذر لما وقعت فيه من أخطاء ما قصدتُ إليها سبيلاً وحسبي أنني بشر – يخطئ ويصيب والعمل البشري يعتريه القصور والنقص لا محالة.

ويعلم الله أني لم آل جهدًا في هذه الدراسة وقصدت إليها الإنصاف والحياد والموضوعية.

ويشفع لي الإخلاص في المعالجة والصدق في القول والإنصاف في الحكم.

وهو حسبي ونعم الوكيل , والحمد لله أولاً وأخيرا

ثبت المصادر والمراجع

(١) الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد، د/ إبراهيم بن فوزان الفوزان، الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، مطبعة المدني – المؤسسة السعودية بمصر ٦٨ ش العباسية .
(٢) الأدب ومذاهبه د/ محمد مندور – نهضة مصر – القاهرة
(٣) الأدب العربي الحديث د/ محمد صالح الشنطي. دار الأندلس والنشر والتوزيع حائل السعودية ط. الرابعة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
(٤) الأدب العربي بين البادية والحاضرة د/إبراهيم عوضين – الأولى ١٤٠٢هـ١٩٨٢مـ مطبعة السعادة –ميدان أحمد ماهر
(٥) أصول النقد الأدبي د/ أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية – العاشرة ١٩٩٤م.
(٦) ألف صفحة و صفحة من الأدب والنقد، عبد الفتاح أبو مدين الأولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م. وكالة الرواد للدعاية والإعلان – جدة رقم الإيداع ٣٨٥٤/ ١٤٣٠م.
(٧) أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر – أ/ علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي الطبعة الثامنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م – المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان.
(٨) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر د. علي صبح. المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
(٩) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية د. بكر شيخ أمين الثانية ١٩٧٨م، دار صادر – بيروت – لبنان.
(١٠) حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر د. عثمان الصالح الصوينع الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م الجزء الثاني.
(١١) الحوار في القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي د. السيد أحمد عمارة الأولى ١٩٩٥م – ١٤١٦هـ ط. التركي بطنطا – مصر.
(١٢) الحيوان – أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – نشر السندوبي.
(١٣) ديوان حصيد الزمن. عبد العزيز الرويس الأولى ١٤٢١هـ – مطابع الخالد للأوفيست. فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض – السعودية رقم الإيداع ٢١/٤٤٩٨.
(١٤) ديوان الفجر الراقص: عبد السلام حافظ– شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر جدة د.ت السعودية بعد عام ١٣٨٣هـ.
(١٥) ديوان شذى الأزهار – علي حسين الفيفي الثانية ١٤٢٨هـ مطابع المشهوري– الطائف – السعودية.

(١٦) ديوان إسلاميات– سعد الدَّبل– الثانية ١٣٩٨– مكتبة المعارف السعودية.
(١٧) ديوان خلجات قلب. عبد الرحمن آل عبد الكريم الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – العبيكان – الرياض– السعودية.
(١٨) ديوان أنفاس الربيع – طاهر زمخشري– دار الكتاب العربي مصر ١٩٥٥م.
(١٩) ديوان ألحاني – إبراهيم فلالي – دار المعارف بمصر – القاهرة – ١٣٦٩هـ.
(٢٠) ديوان الأزهار – علي حسين الفيفي الثانية ١٤٢٨هـ.
(٢١) ديوان الزفرات الحري– عبد الله بن حمد الشبانة – دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض – السعودية ١٤٠٨هـ.
(٢٢) ديوان على مشارف القلب، سلطانة السديري الأولى ١٤٠٥هـ مطبعة الفرزدق– الرياض.
(٢٣) ديوان الروض الملتهب أحمد سالم باعطب الأولى مطابع الفرزدق الرياض ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م– إصدارات النادي الأدبي– الرياض.
(٢٤) ديون حليمة والصوت والصدى وبائع الموز د. عبد الرحمن العشماوي ط. العبيكان – الرياض
(٢٥) ديوان أشواق وحكايات –د/ منصور الحازمي ط. دار العلوم للطباعة والنشر – الرياض الأولى ١٩٨١م.
(٢٦) ديوان عيون تعشق السهر/ أحمد سالم باعطب الأولى دار الأصفهاني للنشر – جدة السعودية.
(٢٧) ديوان عن الحب ومنى الحلم ، علي أحمد النعمي – مطبوعات النادي الأدبي بجازان ١٤٠٥هـ.
(٢٨) ديوان حديث النهر د/ صالح الوشمي – مجمع عبد الله بن صالح الوشمي الأولى ١٤٢٨– ٢٠٠٧م – الرياض رقم الإيداع ٥٣٤٢/ ١٤٢٧هـ.
(٢٩) ديوان قلب على الرصيف/ أحمد سالم باعطب الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م دار الرفاعي للنشر والتوزيع.
(٣٠) ديوان آماس وأطلاس – أ/ محمد حسن عواد. مطابع دار الكشاف – بيروت – لبنان ١٩٥٢م.
(٣١) ديوان حافظ إبراهيم – شرح محمد أمين وآخرون –الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة مصر ١٩٨٧م.
(٣٢) ديوان علي ربي اليمامة – عبد الله بن خميس الأولى ١٣٩٧هـ – مطابع الفرزدق – الرياض – السعودية.
(٣٣) ديوان: المجموعة الخضراء ، إبراهيم محمد الزيد الأولى ١٤٠٤هـ دار تهامة للنشر – جدة.
(٣٤) ديوان أغنية الشمس، إبراهيم عمر صعابي – مطابع الزائدي الطائف ١٣٩٩هـ – منشورات نادي الطائف الأدبي.

(٣٥) ديوان رحلة العمر – علي حسين الفيفي الأولى ١٣٩٧هـ – نادى الطائف الأدبي.
(٣٦) ديوان لواعج – عبد الرحمن بن زيد السويداء– مطابع الفرزدق التجارية – الرياض ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
(٣٧) ديوان هواجس– عبد الرحمن بن زيد السويداء– الأولى –مطابع الفرزدق التجارية الرياض.
(٣٨) ديوان ومضات شعر– محمد سعد المشعان الأولى – مطابع الشرق الأوسط ١٩٩٠م.
(٣٩) ديوان القرار الأخير – عائض القرني ط. العبيكان ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
(٤٠) ديوان وهج الشباب – إبراهيم العلاف.
(٤١) ديوان عمر بن أبي ربيعة– المطبعة الوطنية بيروت –الأولى– ١٣٥٣هـ١٩٣٤ م
(٤٢) الديوان في الأدب والنقد – عباس العقاد وإبراهيم المازني ط دار الشعب – الثالثة– بدون تاريخ.
(٤٣) ديوان الهجير– معيض البخيتان – مطابع حنيفة –.الأولى ١٩٧٨م– ١٣٩٨م.
(٤٤) رباعيات محمد سعد المشعان الأولى بدون تاريخ .
(٤٥) الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية د. مسعد العطوي ط. ١٤١٧هـ – فهرسة الملك فهد الوطنية.
(٤٦) شعراء من الجزيرة العربية – عبد الله الحميد.الأولى سـ١٩٩٢م
(٤٧) شعراء نجد المعاصرون– عبد الله بن إدريس– منشورات النادي الأدبي بالرياض الثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
(٤٨) شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب – عبد ا لكريم بن حمد الحقيل الثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م – مطابع الفرزدق التجارية.
(٤٩) الشعر والشعراء ابن قتيبة–.تحقيق مفيد قميحة ونعيم زرزور دارالكتب العلمية– بيروت–الثانية ١٩٨٥ م
(٥٠) الشعر الحديث في الجزيرة العربية نجد والحجاز والإحساء خلال ١١٥٠هـ – ١٣٥٠هـ عبد الله الحامد ط/ دار الكتاب السعودي.
(٥١) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن ١٣٤٥هـ – ١٣٩٥م د/ عبد الله الحامد – منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
(٥٢) الشوقيات أحمد شوقي تقديم محمد حسين هيكل الطبعة الثانية عشر دار الكتاب العربي – لبنان ١٩٩٢م الجزء الأول.
(٥٣) العمدة في محاسن الشعر ونقده – ابن رشيق القيرواني تحقيق/ محمد محيى

الدين عبد الحميد طبعة دار الجيل – بيروت.
(٥٤) فن القصة في الأدب السعودي الحديث – د منصور الحازمي– دار ابن سينا للنشر ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
(٥٥) لطائف الشعراء ناصر الحميدي ط. الثالثة – الرياض ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
(٥٦) مع التجديد والتقليد في الشعر العربي – د/ عبد العزيز محمد الفيصل، مطابع الفرزدق التجارية الرياض – الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
(٥٧) موسيقى الشعر العربي – د/ حسني عبد الجليل ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة الأولى ١٩٨٩م.
(٥٨) المجموعة الشعرية الكاملة – إبراهيم محمد جدع مطبوعات نادي جدة الأدبي– الأولى – ١٤٠٤هـ.
(٥٩) من قضايا الأدب الإسلامي د/ صالح آدم بيلو، دار المنار للنشر جدة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
(٦٠) مكانك تحمدي – أ. أحمد محمد جمال– دار تهامة للنشر– جدة– الرابعة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
(٦١) المجموعة الكاملة – إبراهيم العلاف مطابع الصفا . مكة المكرمة – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
(٦٢) مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني د. بكري شيخ آمن – دار العلم للملايين – بيروت لبنان العاشرة ٢٠٠٣م.
(٦٣) مختصر صحيح البخاري– الإمام زين الدين الزبيدي ط/ تحقيق إبراهيم بركة – دار النفائس – بيروت الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
(٦٤) مروج الذهب المسعودي– ط دار الأندلس.
(٦٥) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر د. حسن بن فهد الهويمل مطابع النشر العربي – الرياض ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م. رقم الإيداع ٢٠/٤١٢٤.
(٦٦) النقد التطبيقي والموازنات محمد الصادق عفيفي. مؤسسة الخانجي بمصر ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
(٦٧) نحو كيان جديد – محمد حسن عواد ط. دار المعارف– بمصر.

الموسوعات:

(١) الموسوعة العربية ط. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٩٩٦م.
(٢) موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث د. عبد الله حامد المعيقل – المفردات للنشر والتوزيع والدراسات مطابع الحميضي الرياض الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

الصحف والمجلات:

(١) مجلة مساء العدد ١٩ جمادي الأول ١٤٢٣هـ.
(٢) المجلة العربية عدد صفر ١٤١٤هـ، وعدد جمادي الأولى ١٤١٥هـ.
(٣) مجلة المجلة عدد ٣٢ المحرم ١٣٧٩هـ.
(٤) صحيفة الرياض الاثنين ٦ جمادي الأولى ١٤٢٦هـ. ١٣ يونيو ٢٠٠٥م العدد ١٣٥٠٣م.
(٥) صحيفة البلاد السعودية الأربعاء ٣٠ مايو ٢٠١٢م.
(٦) صحيفة الاقتصادية الإلكترونية ديسمبر ٢٠١٠م عدد٦٢٧٣.
(٧) جريدة البلد السعودية عدد مايو ٢٠١٢م.
(٨) صحيفة جازان مارس ٢٠١٢م.

المواقع والمنتديات:

(١) http:// www.4mml. Com/vb/ / showth read. php? t =19256.
(٢) www.muslam. not/vb/ / showth read. Php?
(٣) www.zhquthor.com\na جوجل السعودية –موقع
(٤) http:// www.ahlalhdeeth.com/vb/ showth read. php? t =240737.
(٥) جوجل السعودية – موقع فخاخ الكلام –
الموسوعة العالمية للشعر العربي.
جوجل السعودية منتديات زهران .
جوجل السعودية منتديات دمت.
جوجل السعودية الموقع الرسمي للشيخ عبد الله الشبانة "نوافل".
جوجل السعودية شبكة الألوكة